إبراهيم خليل الله

هاملتون سميث

منشورات بيت عنيا

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

مقدمة الناشر

يحتل إبراهيم مكاناً بارزاً بين آباء العهد القديم فهو رجل الإيمان الذي سار مع الله. كما يحتل مساحة تاريخية في سفر التكوين من ص ١١ – ٢٥ ولكن نرى منها معاملات الله معه ومع نسله – ومن هذه المعاملات نفهم طريق الله. قال له الرب "وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" تك ١٢: ٣ وعرفنا من غلاطيه ٣: ١٦ أن هذا النسل هو "المسيح" الذي فيه تحققت كل بركات العهد.

كما تبرز في حياته المبادئ الأدبية في علاقة الله مع المؤمنين في كل عصر، فمع أنه من قديسي العهد القديم وقد دعاه الله دعوة لميراث أرضي وبركات أرضية غير أننا نجده يسلك إزاءها بالإيمان – الأمر الذي نحتاج نحن أن ننهض أنفسنا به دائماً، مع أن لنا دعوة سماوية خاصة وبركات سماوية وميراث سماوي.

نرى في تاريخه ظهور إله المجد له والدعوة للميراث، ومن جانبه أظهر الطاعة التي تتولد عن الإيمان، وهو لا يعلم إلى أين يأتي، وعاش في كنعان كغريب ونزيل ساكناً في خيام وساجداً في مذبح. ثم انتظر مجيء الوارث حتى فقد كل رجاء منظور وتم وعد الله له، ولكنه جرب في ابنه الوحيد وأطاع الله لكي يقدمه ذبيحة ثم يأخذ ابنه ثانية على رجاء القيامة. وتموت سارة امرأته ويمتلك مدفناً لدفن ميته وأخيراً يسعد بزواج الوارث ويدفن بشيبة صالحة.

كما نرى أن الله أعطاه رؤى متنوعة وعجيبة وتتخطى أزمنة عديدة، فقد رأى الرب يسوع في يومه الآتي (يو ٨: ٥٦)، كما رأى المدينة السماوية التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله (عب ١١: ١٠).

ويستند بولس في التعليم الإلهي عن مبدأ التبرير لما قاله الله عن إبراهيم قديماً "فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً" (رو ٤).

ويقتبس الرسول يعقوب شهادة الوحي عنه "خليل الله" (يع ٢: ٢٣). عندما يشهد عن حياته العملية التي أبرزت إيمانه في موقف التجربة الرهيب الذي تعرض له.

وترد الاقتباسات عنه في أسفار العهد الجديدة حوالي سبعين في إحدى عشر سفراً.

ويتناول الكاتب – هاملتون سميث – الدروس العملية لحياة هذا الرجل العظيم بما فيه من الصعود والهبوط، ومن طاعة الإيمان حيناً إلى فشله وعثراته حيناً آخر، وهذا صحيح لأنه إنسان تحت الآلام مثلنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ليت الروح القدس يستخدم هذه التأملات الحلوة العملية لنحفظها في قلوبنا ونمتلك قوة الإيمان إزاء تحديات المنظور والجسد والعالم وإبليس، "غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى بل إلى التي لا ترى، لأن التي ترى وقتية أما التي لا ترى فأبدية" (٢ كو ٤: ١٨). أكتوبر ١٩٩٤

ثروت فؤاد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في عبر النهر

تكوين ١١: ٢٧ ــ ٣٠

لكي نتعلم ونستفيد من تاريخ حياة إبراهيم يلزم معرفة خصائص العالم الذي كان يعيش فيه والذي دعي منه.

ماضي حياة إبراهيم

يشير الرسول بطرس إلى الوقت ما قبل الطوفان بالقول "العالم الكائن حينئذ"، كما يتكلم بولس عن "العالم الحاضر الشرير" (غلاطية ١: ٤)، وفي النهاية عن "العالم العتيد" أي العالم الألفي (عبرانيين ٢: ٥). إذن فهناك العالم الكائن وقتئذاك، والعالم الحاضر الآن ثم العالم الآتي.

فالعالم الذي كان قبل الطوفان قد خرب عند السقوط، وامتلأ شراً، وقد احتمل الله شر هذا العالم المتزايد لنحو ١٦٥٠ سنة إلى أن أفسدت الأرض وامتلأت ظلماً، ففاض الماء على العالم الكائن حينئذ فهلك (٢ بطرس ٣: ٦).

وبعد الطوفان بدأ يتكون العالم الحاضر الذي يتميز بعناصر جديدة، حيث أدخل مبدأ الحكومة، إذ أراد الله في رحمته أن لا يدع الشر يمر دون توقيع حكم على مرتكبيه، وهكذا أصبح الإنسان مسئولاً بوضع حد للشر عن طريق الحكم على الشرير فأخبر نوحاً أن "سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه". ولكن كما فشل الإنسان وهو في حالة البراءة وفسد العالم قبل الطوفان، هكذا فشل الإنسان في الحكم وأفسد العالم الحاضر وكما هو دائماً فحيث يوضع الإنسان تحت المسؤولية فإنه يفشل من البداية، وهي بعينها ذات الأشياء التي تميز حكومات العالم دائماً، فهؤلاء الذين هم في السلطة يفشلون في الحكم أما المقاومون لهم فيسخرون من فشلهم، وفضلاً عن ذلك ففي الماضي وجدنا الناس تسيء استخدام مبدأ الحكومات، نوح الذي أعطي السلطان أن يحكم فشل حتى في الحكم على ذاته، فسكر وتعرى وهزأ به لبنه، وهكذا على مر الأيام أساء الناس الحكم، وأخذوا يعظمون أنفسهم ويعملون بالاستقلال عن الله فقالوا "هلم نبن لأنفسنا مدينة ... ونصنع لأنفسنا اسماً"، وهكذا في النهاية صار العالم مرتداً، وسقط في الوثنية، إذ نقرأ: "هكذا قال الرب إله إسرائيل، آباؤكم سكنوا عبر النهر منذ الدهر تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى" (يشوع ٢٤: ٢).

وهكذا كان القضاء لكبح جماح شر الإنسان أن يتفرق العالم إلى قبائل مختلفة وأمم متباينة ولغات متفرقة. هذه بداية العالم الحاضر الشرير، وهذه في صفته الشريرة التي تتزايد شيئاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فشيئاً حتى ينضج لوقوع القضاء عليه. إنه العالم الذي أدخل الله فيه مبدأ الحكومات ولكن الإنسان خربه وأفسده عندما عملوا بالاستقلال عن الله وعظموا أنفسهم وفي النهاية ارتدوا عن الله وسقطوا في الوثنية.

نقطة التحول في حياة إبراهيم

ولأكثر من أربعمائة سنة، كان الله يحتمل خلالها شر العالم، عندئذ يظهر كإله المجد لإنسان على الأرض، ويتعامل معه على مبدأ جديد تماماً، هو مبدأ دعوة الله بالنعمة المطلقة، هذا المبدأ الجديد لم يطرح جانباً مبدأ الحكومات، كما لم تكن هناك فكرة لتحسين وإصلاح العالم وشره، فلقد ترك الله العالم كما هو، ولكن تتجه دعوة الله في أكمل صورة لها من نحو فرد يختار على مبدأ النعمة ويدعى للخروج من هذا العالم.

وليس لنا غير أن نتيقن من أهمية هذا الحق الثمين – حق دعوة الله المطلقة خصوصاً عندما نتحول إلى العهد الجديد، حيث نرى الله في مطلق سلطانه لا يزال يتعامل بهذا المبدأ عينه الآن، والكنيسة ليست سوى أفراداً دعوا بالنعمة، والرسول بولس لا يخبرنا أن الله "خلصنا" فقط بل "دعانا" أيضاً وهذه الدعوة هي: "دعوة مقدسة .. بمقتضى القصد والنعمة" (٢ تي ١: ٩). وفي الرسالة إلى أهل رومية يذكرنا الرسول أن المؤمنين "مدعوون حسب قصده"، (روميه ٨: ٢٨) وفي الرسالة إلى العبرانيين يطلب من المؤمنين بوصفهم "شركاء الدعوة السماوية" (عب ٣: ١). كذلك الرسول بطرس يخبرنا أن الله "دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب" ويختم بالقول "إله كل نعمة .. دعانا إلى مجده الأبدي" (١ بط ٢: ٩، ٥: ١٠).

من هذه الأقوال كلها يتضح أن المؤمنين لم يخلصوا فقط بل دعوا أيضاً. إن أول ما تهتم به النفس المضطربة هو الخلاص كما نرى ذلك في سجان فيلبي إذ سأل "ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص"؟. ونحن أيضاً غالباً بعدما ننال الخلاص بالإيمان بالمسيح وعمله الكامل فإننا نكتفي بمعرفة هذا القدر ونستريح على أن خطايانا قد غفرت وأننا احتمينا من الدينونة وخلصنا من جهنم، وننسى أن إنجيل الخلاص إنما يتضمن أيضاً دعوة الله لنا إلى مجد المسيح؟ إن الرسول بولس لا يكتفي بالقول لمؤمني تسالونيكي "إن الله اختاركم من البدء للخلاص" بل يضيف إلى ذلك قوله "دعاكم إليه بإنجيلنا لاقتناء مجد ربنا يسوع المسيح" (٢ تس ٢: ١٣ و ١٤).

هذه الفصول العديدة توضح لنا بكل جلاء أن الله إذ دعانا فذلك راجع إلى أنه قد قصد ذلك في قلبه إشباعاً لعواطفه الإلهية، كما نرى أيضاً أن هذه "الدعوة" تتضمن دعوتنا من عالم موضوع في الظلمة أو الجهل بالله إلى النور العجيب، نور كل ما قصده الله لنا في المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ربنا، وإن كنا مدعوون للسماء فذلك لكي ننال مجد ربنا يسوع المسيح، إن جعالة دعوة الله العليا أن نكون مع المسيح ومثله.

هذه هي بعض الحقائق المباركة المرتبطة بدعوة الله كما تصورها لنا حياة إبراهيم خليل الله. وتبرز أهمية قصة حياة إبراهيم في هذه الحقيقة أن هذا الحق العظيم لدعوة الله غير مطروحة أمامنا في صورة نصوص تعليمية بل تبرز في حياة رجل تحت الآلام مثلنا، ومعروضة أمامنا بشكل مبسط يمكن أن يدركها أبسط شخص.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

دعوة الله لإبراهيم

تكوين ١١: ٣١ – ١٢: ٣

رأينا في الفصل السابق من حياة إبراهيم، طريق الإيمان الذي يتجاوب مع دعوة الله، ونرى الآن المعطلات التي اعترضت هذا الطريق، وكيف تغلب الإيمان عليها، كما سنرى البركات والفشل والتجارب والمحاربات التي في هذا الطريق.

صفات الدعوة

١. دعوة إلهية

إن الحقيقة الأولى العظمى التي نتعلمها في بداية تاريخ إبراهيم هي الصفة المباركة التي تتميز بها دعوته، وعندما نرجع إلى خطاب استفانوس المدون في أعمال ٧ نقرأ القول "ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو في ما بين النهرين" هذا ما تتميز به الدعوة أنها من الله إله المجد. ففي هذا العالم، وفي كل مدينته، لا يوجد شيء يكلمنا عن الله، بل كل ما فيه يظهر ويعظم الإنسان ويمجده، أما القول "إله المجد" فإنه يأخذ بأفكارنا إلى مشهد آخر، حيث لا يوجد شيء على الإطلاق، بل نرى كل ما يظهر الله. هذا هو الله الذي في نعمته العجيبة ظهر للإنسان كان يعيش في عالم متجنب عن الله، غارق في الوثنية. إنه مجد ذاك الذي ظهر لإبراهيم، الأمر الذي يعطي أهمية بالغة لهذه الدعوة، بل ويعطي للإيمان سلطانه وقوته لتلبية هذه الدعوة الإلهية.

٢. دعوة فاصلة

ونتعلم ثانياً أن هذه الدعوة هي دعوة فاصلة، لأن الكلمة التي وجهت لإبراهيم هي هذه "اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك". لم يطلب الله من إبراهيم أن يبقى في مدينة أور حيث يتعامل مع شر الناس، كما لم يطلب الله منه أن يعمل على تحسين حالة العالم الاجتماعية، أو إصلاح علاقاته العائلية، أو ليجعله عالماً حسناً لامعاً. إن الدعوة تطلبت من إبراهيم الخروج من العالم بكل صوره، كان عليه أن يترك العالم السياسي "أرضك"، والعالم الاجتماعي "عشيرتك"، وعالم العائلة "بيت أبيك".

والدعوة في الوقت الحاضر ليست أقل من ذلك. إن العالم الذي حولنا له صورة التقوى، بدون قوتها، هذا هو عالم المسيحية الفاسد. والرسالة التي تخبرنا بأننا شركاء الدعوة السماوية، هي بعينها التي تطلب منا أن نخرج بعيداً عن فسادها "فلنخرج إذاً إليه [إلى يسوع] خارج المحلة حاملين عاره" (عب ١٣: ١٣) ليس معنى هذا أننا نحتقر الحكومات

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فهي لا تزال من تعيين الله، ولا بمقدورنا أن نتجاهل الروابط العائلية لأنها مرتبة من الله. ولا يلزمنا أن نكف عن اللطف والرحمة وأن نعمل الخير للجميع حسبما لنا الفرصة لكننا كمؤمنين نحن مدعوون أن ننفصل عن أن نشارك في أنشطة العالم السياسية والعالم الاجتماعي المحيط بنا، وكل مجالات أعضاء عائلاتنا غي المتجددين الذين يجدون مسرتهم بعيداً عن الله، وهذا المقصود من الخروج من العالم، هذا ولا يزال الروح القدس يوجه إلينا نحن المؤمنين هذه الكلمات "لذلك اخرجوا من وسطه واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فأقبلكم وأكون أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء" (٢ كو ٦: ١٧ و ١٨).

٣. دعوة مؤكدة

وثالثاً إن كانت دعوة الله قد فصلت إبراهيم عن هذا العالم الحاضر، فذلك للإتيان به إلى عالم آخر كم قال الله "إلى الأرض التي أريك". فإذا كان إله المجد قد ظهر لإبراهيم فذلك لكي يحضر إبراهيم إلى مجد الله، ونلاحظ أن الخطاب العجيب الذي تكلم به اسطفانوس بدأ بإله المجد ظاهراً لإنسان على الأرض، وانتهى بمشهد إنسان ظاهر في مجد الله في السماء، وفي ختام خطابه يتطلع اسطفانوس بثبات إلى السماء ويرى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله، ويقول "ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله". ونحن إذ نتطلع إلى المسيح في المجد نرى القصد العجيب الذي قصده الله في قلبه عندما دعانا من هذا العالم الحاضر، إنه دعانا إلى مجده لنكون مثل المسيح ومعه في مشهد يتكلم عن الله ومحبة قلبه غير المحدودة.

لم يقل الله لإبراهيم أنك إذا أطعت دعوتي أعطيك في الحال أن تمتلك الأرض، بل قال "الأرض التي أريك" فإن الله يعطينا مع اسطفانوس إذا أطعنا دعوة الله أن نرى الملك في بهائه والأرض البعيدة، نرفع أنظارنا إلى فوق فنرى المسيح في المجد.

٤. دعوة امتيازات

ورابعاً فهناك بركة عظيمة حاضرة لمن يتجاوب مع الدعوة، وإذ انفصل إبراهيم عن هذا العالم الحاضر الشرير قال له الله "أجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك". يحاول أهل العالم أن يصنعوا لأنفسهم اسماً كما قالوا قديماً "ونصنع لأنفسنا اسماً"، لكن الله يقول للرجل المنفصل "أباركك وأعظم اسمك".

إن الميل الطبيعي في قلوبنا هو أن نصنع لأنفسنا اسماً، والجسد يحاول أن يمسك بأي شيء ولو بأمور الله ليعظم ذاته، وهذا الميل ظهر حتى بين تلاميذ المسيح، إذ حدثت بينهم مشاجرة من منهم يظن أنه يكون أكبر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن التشتت الذي حدث في بابل، وانقسام المسيحية، وأيضاً كل مشاجرة وسط شعب الله تنسب غالباً لأصل واحد هو محاولة الجسد أن يكون عظيماً.

إن روح الاتضاع الذي في ربنا يسوع المسيح قاده أن يخلى نفسه "لذلك رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم". الله هو الذي عظم اسمه وهكذا يعظم كل شخص متضع يتبع الرب خارج المحلة إجابة للدعوة. فإن الله يقول له "وأعظم اسمك". إن الله يستطيع أن يعظم اسم المؤمن أكثر جداً مما نحاول أن نعمله لأنفسنا في هذا العالم الحاضر الشرير.

وإذا اعترفنا بأمانة لوجدنا أن الباعث الحقيقي لبقاء كثيرين في مراكز غير صحيحة، هو الرغبة الدفينة ليكونوا عظماء، ولذا ينفرون من طريق الانزواء من هذا العالم الديني، ألا نرى في كلمة الله كما نشاهد في اختباراتنا أن الأشخاص العظماء روحياً بين شعب الله، هم الأشخاص المنفصلون، الذين استجابوا لدعوة الله لهم بالانفصال، كما نرى أن أي تحول عن كريق الانفصال إنما يؤدي إلى فقدان التأثير بل ضياع كل عظمة روحية حقيقية بين شعب الله؟

٥. دعوة نافعة

وخامساً يقول الله لإبراهيم "وتكون بركة". في طريق الانفصال لا يكون إبراهيم نفسه مباركاً فحسب، بل يكون أيضاً بركة للآخرين. إننا نفعل حسناً لو لاحظنا أهمية هذه الكلمات، لأن المؤمن قد ينخدع بالبقاء في وسط ليس هو حسب كلمة الله، اعتقاداً منه أنه يكن أكثر نفعاً للآخرين مما لو اتخذ مركز الانفصال عنه. نحن لا نقرأ أن الرب قال لإبراهيم "إذا بقيت في أور الكلدانيين أو في منتصف الطريق في حاران تكون بركة"، بل عندما أطاع دعوة الله قال له "وتكون بركة".

٦. دعوة حافظة

وسادساً أخبر الرب إبراهيم أنه إذا خرج فسيصبح موضوع عنايته الحافظة. إنه لا بد أن يواجه المقاومات والتجارب إذ قيل حقاً "والحائد عن الشر يسلب" (أش ٥٩: ١٥)، ولكن الله يقول للمنفصل "أباركك وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه". المؤمن المنفصل يحفظ من تجارب كثيرة يتعرض لها المؤمن الذي يختلط بالعالم. إن رحمة الرب خلصت لوط من الحكم الذي وقع على سدوم ولكنه بسبب روابطه بالشر خسر كل شيء: خسر زوجته وأولاده وثروته واسمه.

٧. دعوة فعالة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وسابعاً إذ تصرف إبراهيم بالإيمان، وبموجب كلمة الله، قال له "وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض". ونحن نعرف كيف استخدم روح الله هذا الوعد "والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرر الأمم سبق فبشر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم". (غل ٣: ٨) لم يكن ممكناً لإبراهيم أن يرى التأثير البعيد لمبدأ الإيمان الذي عمل بموجبه، ولكن الله سبق فرأى أن هذا هو الطريق الوحيد للبركة لجميع الأمم، وليس سوى الله الذي يرى من بعيد مدى تأثير البركة التي تصل للآخرين من إيماننا بالله إجابة لدعوته لنا.

عوائق إجابة دعوة الله

رأينا المواعيد المباركة المرتبطة بدعوة الله، وسنتعلم كيف يستجيب الإيمان لهذه الدعوة، كما سنرى في تاريخ إبراهيم كيف يمكن أن يتعوق رجل الإيمان، ولو لبعض الوقت، عن تنفيذ هذه الدعوة.

ونتعلم من خطاب اسطفانوس المدون في أع ٧ أن الدعوة وجهت إلى إبراهيم "وهو في ما بين النهرين قبلما سكن في حاران" ولكن في تنفيذ هذه الدعوة تعطل إبراهيم بسبب روابط الطبيعة. فالدعوة وجهت إلى إبراهيم لكن الطبيعة كثيراً ما تظهر الغيرة الشديدة في إجابة الدعوة فتتسلم القيادة إذ نقرأ "وأخذ تارح إبرآم ابنه .. من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان" فالطبيعة قد تدعي السير في طريق الإيمان، وعندما تبدأ سيرها تظهر أحسن النوايا فتحاول بالإرادة الذاتية أن تعمل ما ليس في طاقتها والنتيجة أنها تتوقف عن السير وهذا ما حدث فعلاً، إذ بعد ما خرج من أور الكلدانيين "ليذهبوا إلى أرض كنعان" لم يستطيعوا أن يصلوا إلى هذه الأرض، فتوقفت الطبيعة في منتصف الطريق في حاران وسكن هناك، وتوقف المسير حتى مات تارح في حاران.

ماذا عمل إبراهيم رجل الله؟ لقد سمح لنفسه أن يعاق عن طاعة دعوة الله طاعة كاملة، فلم يسمح أيضاً أن يقوده أبوه إذ نقرأ "وأخذ تارح إبرام" وماذا كانت النتيجة؟ أنه قصر عن الوصول إلى الأرض التي دعي إليها، كما نرى ذلك واضحاً في خطاب اسطفانوس "فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين وسكن في حاران. ومن هناك نقله بعد ما مات أبوه إلى هذه الأرض". كم كثيرون منا يتعوقون ولو بعض الوقت عن اتخاذ طريق الانفصال، وذلك بسبب بعض أقاربنا المحبوبين. فالدعوة تصل إلى المؤمن ولكنه يتباطأ في إجابتها، لأن قريباً له غير مهيأ لما تتطلبه من خروج، فينتظر مؤملاً أن هذا القريب يرى الدعوة في جمالها فيعمل الاثنان معاً.

إن الإيمان لا يستطيع أن يسمو بالطبيعة إلى مستواه، ولكن الطبيعة تستطيع أن تجتذب رجل الإيمان وتعطله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قد تقدم حجج كثيرة لتبرير أن نعرج في منتصف الطريق وفي هذه الحالة توضع مطاليب الطبيعة فوق دعوة الله، وكثيراً ما يضطر الله، كما فعل في قضية إبراهيم، أن يدخل الموت في الدائرة العائلية ويأخذ الشخص المعطل ليفسح الطريق لرجل الإيمان لتنفيذ دعوة الله في طاعة كاملة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإيمان وعدم الإيمان

تكوين ١٢: ٤ – ٢٠

لقد تحرر إبرام من روابط الطبيعة، وإن كان ذلك بكلفة مؤلمة وغالية، إذ دخل الموت إلى العائلة وسحب تارح أبوه من المشهد، عندئذ أطاع إبرام الدعوة "فذهب إبرام كما قال له الرب".

لكنه أخذ لوطاً ابن أخيه معه ولوط العالمي كان ثقلاً على إبرام. في موضوع أبيه، رأينا إبرام سمح للطبيعة أن تتسلم زمام القيادة "وأخذ تارح إبرام" وانتهى الأمر بالموت أما في موضوع ابن أخيه فإن إبرام هو الذي تسلم القيادة "فأخذ إبرام .. لوطاً ابن أخيه" ومع أن لوطاً كان ثقلاً على إبرام إلا أن هذا لم يعطل إيمانه عن طاعته لله.

هذا ونلاحظ أنه لما تسلمت الطبيعة زمام القيادة نقرأ أنهم "خرجوا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان" لكنهم لم يصلوا إلى تلك الأرض بقيادة تارح. لكن لما تسلم الإيمان القيادة نقرأ أنهم "خرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان" (ع ٥)

مباينة

وإذ وصلوا إلى أرض كنعان، وجدوا الكنعانيين حينئذ في الأرض، وهذه العبارة لها معناها العميق. فلقد قال الله لإبراهيم "وأباركك" أما عن كنعان فقال الله "ملعون كنعان". فإذا كان الله قد أتى بإبراهيم – رجل البركة – إلى أرض الوعد، فإنه يكتشف أن الشيطان قد استحضر ابن اللعنة إلى ذات الأرض. وبهذه الطريقة فإن الشيطان يسعى لتقويض مقاصد الله ويمنع رجل الإيمان من الدخول لامتلاك الأرض.

مقارنة

والمسيحي إنسان مدعو من العالم الحاضر ليكون شريك الدعوة السماوية، ولقد بورك بكل بركة روحية في السماويات في المسيح. فإذ يلبي المؤمن الدعوة تاركاً العالم، يجد نفسه مقاوماً من "أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف ٦: ١٢) وهكذا إذ تتوق نفسه إلى التمتع بالبركات الروحية، فإنه يجد قوات الشر الروحية تصطف أمامه وتعمل على منعه حتى لا يتمتع بمركزه السماوي – وهو النصيب الحقيقي الوحيد للكنيسة.

كانت أور الكلدانيين بالنسبة لإبرام شيئاً ماضياً، كما كان امتلاك الأرض شيئاً مستقبلاً – وهكذا لم يدرك العالم الذي تركه ولا العالم الأفضل الذي يسعى إليه – وهذا هو أيضاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مركز المسيحي الذي يستجيب لدعوة الله لقد ترك العالم الحاضر الشرير ولكنه لم يصل بعد إلى العالم الآتي.

إذن – ما هو نصيب الشخص الذي يلبي دعوة الله، وما هو الشيء الذي يسنده في مركزه خارج العالم؟ هذا ما نجده في قصة إبرام هنا الغنية بالتعليم والتشجيع.

طاعة الإيمان

لنلاحظ أولاً أن المبدأ العظيم الذي عمل إبرام بموجبه كان مبدأ الإيمان، ومن الواضح أنه ترك أرضه واتجه إلى أرض لم يصل إليها بعد، دون أن يكون شيء على الإطلاق أمام نظره الطبيعي وليس معنى هذا أنه لم ير شيئاً، بل أن ما رآه بالإيمان ولذلك نقرأ "بالإيمان إبراهيم لما دعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً"، وأيضاً "بالإيمان تغرب في أرض الموعد"، وأخيراً "في الإيمان مات هؤلاء أجمعون" (عب ١١: ٨ و ٩ و ١٣).

طريق الإيمان

وثانياً إذ أطاع دعوة الله على مبدأ الإيمان، صار هو والذين معه "غرباء ونزلاء" كما يقول الروح القدس في العهد الجديد عن هؤلاء "أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض" (عب ١١: ١٣)، وهذا يجيء واضحاً عند قراءة الحادثة تاريخياً. ففي حاران حيث تعوق إبرام بعض الوقت نقرأ القول "فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك" لكن إذ وصلوا إلى الأرض نقرأ أن إبرام "نصب خيمته" كشخص ليس له مكان معين في الأرض، ونقرأ أيضاً "واجتاز إبرام في الأرض" وأمامه وطن آخر. فهو كغريب لم يكن له إلا خيمة في هذا العالم وكنزيل كان يجتاز إلى عالم آخر.

نصيب الإيمان

وثالثاً نتعلم ما الذي كان يسند إبرام في طريق غربته فنقرأ هذه الكلمات "وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض" ولنلاحظ هنا شيئين أولهما تكرار العبارة مرتين في عد٧ "وظهر الرب له". وثانياً أن امتلاك الأرض وضع أمام إبرام كشيء مستقبل. لقد رأى الملك في بهائه، كما رأى الأرض من بعيد، فواصل مسيره كغريب ونزيل في نور مجد الله الذي دعاه، وبركات الأرض التي كان ذاهباً إليها. ولذلك نقرأ في العهد الجديد "لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات"، وأيضاً "يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً" (عب ١١: ١٠ و ١٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أليس هكذا الحال معنا فإن المسيح وحده أمامنا في مجده وبركات البيت السماوي الذي نحن ذاهبون إليه تجعلنا نحمل ولو بقدر محدود طابع أناس غرباء ونزلاء، فلا يكفينا أن نعرف تعليم المسيح، وأن السماء أمامنا في نهاية المطاف، لكن ينبغي أن يكون في كل منا ذات الشوق الذي كان في قلب الرسول الذي قال "لأعرفه" و"أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع" (في ٣: ١٠ و ١٢).

وعندما نأخذ مركزنا اللائق خارج العالم إجابة للدعوة الإلهية، عندئذ نستطيع أن ننمو شخصياً في معرفة الرب نفسه صدقاً لقوله "الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي" (يوحنا ١٤: ٢١).

تجاوب الإيمان

ورابعاً بعدما ظهر الرب لإبرام نقرأ إنه في الحال "فبنى هناك مذبحاً" وهذا العمل يكلمنا حقاً عن السجود. وفي الرسالة إلى العبرانيين نرى أن الذين يخرجون إلى المسيح خارج المحلة لا يحملون فقط صفة الغرباء كأناس ليس لهم هنا مدينة باقية، بل سيصبحون أيضاً ساجدين يقدمون به لله في كل حين ذبيحة التسبيح (عب ١٣: ١٣ - ١٥).

هذا ونلاحظ أن إبرام لم يتحقق فقط مجد ذلك الوطن الذي رآه من بعيد، بل رأى أيضاً مجد ذلك الشخص الذي ظهر له. لقد قادته العطية إلى الشكر، لكن ظهور المعطى قاده إلى السجود، من هذا نفهم أن السجود هو فيض القلب الذي امتلأ بمجد الشخص الذي تعبد له.

ينابيع الإيمان

وخامساً إبرام "دعا باسم الرب"، وهذا يكلمنا عن الاستناد على الرب، فمهما كانت حاجات إبرام، ومهما كانت أعواز رحلته كغريب، ومهما كانت المقاومات التي تعترض طريقه، ومهما كانت التجارب، فقد كان له مصدر واحد لا ينضب وهو الرب فاستطاع أن يدعو باسم الرب.

في كل أيام التجارب يجد الأتقياء مصدرهم الوحيد في الرب. ففي أيام الخراب قبل الطوفان كان هناك من يشبه قايين الذي "خرج من لدن الرب"، لكن كان هناك أيضاً أتقياء كما نقرأ "حينئذ ابتدئ أن يدعي باسم الرب" (تك ٤: ١٦ و ٢٦) وهكذا في أيام ملاخي المظلمة وجد المتقون ينابيعهم في الرب إذ نقرأ عنهم هذا القول "المفكرين في اسمه" (ملا ٣: ١٦) وفي الأيام الأولى من تاريخ الكنيسة كان المؤمنون معروفين هكذا "الذين يدعون بهذا الاسم" (أعمال ٩: ٢١)، وفي وسط اضطهاداتهم كانوا يلجأون إلى الرب، وفي وسط خراب الأيام الأخيرة يؤكد لنا الكتاب أنه يوجد "الذين يدعون الرب من قلب نقي" (٢ تي ٢: ٢٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لكن مهما كان إيمان إبرام، فإنه كان إنساناً تحت الآلام مثلنا، وليس أحد يسلك طريق الإيمان إلا ويمتحن إيمانه، والامتحان يكشف لنا من الناحية الواحدة ضعفنا، ومن الناحية الأخرى يكشف لنا نعمة الله وأمانته نحونا.

عدم إيمان إبرام

في تاريخ أبرام جاء الامتحان في صورة جوع، فكان جوع شديد، كما نقرأ "لأن الجوع في الأرض كان شديداً". لكن إن كان الرب قد سمح بالجوع فإن الرب أيضاً يستطيع أن يسد حاجة خاصته مهما كان الجوع. وعلى كل حال فإن إبرام تحت تأثير الحاجة الشديدة سمح للظروف أن تقف بين نفسه وبين الرب، وبدلاً من أن يدعو باسم الرب انقاد لما أملاه عليه عقله والمنطق الطبيعي وتوقف السير بالإيمان "وانحدر إلى مصر" وعوضاً عن أن يتكل على الله ليعوله انحدر إلى العالم طالباً العون منه.

ولما اتخذ إبرام هذه الخطوة الخاطئة، وجد ما يسد حاجته، نعم، ولكنه وجد نفسه أمام صعوبات جديدة تعرض لها بسبب المركز الخاطئ الذي وجد نفسه فيه، إذ خاف أن يقتل من أجل سارة امرأته إرضاء لشهوات مصر.

ولم يعد بإمكان إبرام في هذه الحالة أن يعتمد على الله لحفظه، وترك ليواجه بنفسه هذه الصعوبة الجديدة، فبدأ يفكر في الحيل ونزل إلى مستوى العالم، وأجاز نفسه أن يكذب قاصداً أن يحمي نفسه على حساب زوجته.

إن عدم الإيمان إذ يحمل في طياته ذات الحكم يقود دائماً إلى ذات الشر وهو الشيء الذي نحاول أن نتفاداه بسلوكنا الذي تمليه علينا إرادتنا، فقبائل بني نوح إذ أرادوا أن يبنوا برجاً لئلا يتبددوا على وجه كل الأرض، ماذا حدث لهم؟ بددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض. وإبرام إذ خاف أن يأخذ فرعون زوجته منه فقال إنها أخته، ونسي أن الله قادر أن يحفظه، ماذا كانت النتيجة؟ "أخذت المرأة إلى بيت فرعون". وبعد ذلك في ظروف مشابهة ترك أليمالك أيضاً الأرض وهرب خوفاً من الموت جوعاً ماذا وجد؟ وجد الموت ينتظره في موآب (راعوث ١: ١ - ٣).

صحيح أن إبرام حصل بتصرفه هذا على سداد حاجته وصار غنياً، لكن ما كان أغلى الثمن الذي دفعه، لأنه في مصر لم يقدر أن ينصب خيمته، كما ولم يستطع أن يقيم مذبحاً، ويدعو باسم الرب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أمانة إله إبراهيم

لكن على الرغم من كل الفشل، فإن الله أظهر أمانته له "لأن دعوة الله وهباته هي بلا ندامة" فالله لا يتخل عن شعبه لفشلهم، بل يعمل لأجلهم وإن كان في سياسته القضائية يدعهم يؤدبون لجهلهم. وهذا ما فعله الرب مع عبده الفاشل، لذلك نقرأ: "فضرب الرب فرعون وكل بيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة إبرام"، وفي النهاية بعدما اكتشف الكذب طرد فرعون إبرام من مصر وقال له "هوذا امرأتك خذها واذهب". هذا وقد اتخذ فرعون التدبيرات التي تكفل خروج إبرام من مصر "فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له". ما أردأ أن يطرد العالم شعب الله لا بسبب شهادتهم الأمينة لله بل بسبب التصرفات المخجلة.

وهكذا – في صلاح الله – خرج عبده من المركز الخاطئ، ولكن لا يفوتنا أنه خرج منها موبخاً في خجل.

All rights reserved © 2008-2018

رفض واختيار

تكوين ١٣

سرعان ما عاد إبرام إلى طريق الإيمان عندما وضع إيمانه تحت الامتحان. ولقد أظهرت الظروف التي تعرض لها إبرام أنه كان يعيش حقاً في نور المدينة السماوية، وبهذا تسنى له أن يرفض الدائرة التي هي جميعها سقى، والتي اختارها ابن أخيه العالمي.

رد نفسه من السقوط

لقد طُرد إبرام من مصر أما إلى أين يذهب فهذه نقطة لا يبالي العالم بها. لكنه كان مثلنا يفشل أحياناً. وإذ كان قد ذاق بركة المكان الذي هو خارج أرض مصر، لم يكن هناك ما يشبع نفسه أقل من العودة إلى مكان البركة الذي كان قد تركه. لذلك نقرأ: "وصعد إبرام من مصر .. إلى الجنوب .. وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل، إلى المكان الذي كانت خيمته فيه ... وإلى مكان المذبح".

وهذا ما يحدث لكل نفس ترد حقيقة فإنه يرجع خطوة خطوة حتى يرى في خيمته غريباً ونزيلاً، آخذاً مركز الساجد في مذبحه، معتمداً على الرب داعياً باسمه.

نتائج السقوط

ما من شك في أن رد نفس إبرام كان رداً كاملاً، لكن نتائج انحدار إبرام وسقوطه تُرى واضحة في غيره: المؤمن لا يمكن أن يسقط دون أن يترك نتائج سقوطه على الآخرين، حتى وإن كان هو قد أقيم من سقطته. وهنا يظهر أمامنا تأثير سقوط إبرام على لوط. لقد رأينا في تارح صورة لرجل الطبيعة الذي يمكن أن يتظاهر باعتراف حسن، لكنه لا يقدر أن يسلك طريق الإيمان الذي يقود النفس إلى خارج العالم، كما رأينا في إبرام رجل الإيمان، الذي يعمل طبقاً لكلمة الرب متخذاً مكانه خارج العالم، وإن كان يفشل أحياناً في طريق الإيمان. أما لوط فنرى صورة لمؤمن حقيقي يأخذ مكانه خارج العالم، ولكن ليس نتيجة إيمانه بالله، بل تحت تأثير غيره عليه، وهذا واضح من عدة مواضع في كلمة الله. مثلاً لما ترك أبرام حاران نقرأ "وذهب لوط معه" (تك ١٢: ٤) وأيضاً لما صعد إبرام من مصر نقرأ "وصعد لوط معه" (تك ١٣: ١) وهنا المرة الثالثة التي يُوصف فيها لوط بهذا الوصف "ولوط السائر مع أبرام" (تك ١٣: ٥).

إن لوط يمثل الكثيرين ممن يتخذون مركزاً صحيحاً خارج العالم، ولكنهم يفعلون ذلك تحت تأثير صديق أو قريب، وليس من التدريب الشخصي والإيمان بالله. ونشاهد أن لوطاً من أول سيره يُرى ماشياً على ضوء غيره، ويا للأسف! كم نرى بطريقة أو بأخرى أننا نشبه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لوط، إذ نعمل دون أن يكون لنا في أنفسنا الإيمان، وعند التجربة نتزعزع ولا نقدر أن نثبت.

وعندما يجيء الامتحان، ماذا يحدث للمؤمنين الذين يسيرون في نور غيرهم! الذي يحدث أنهم يسقطون، ويتركون الطريق الذي لا توجد فيه جاذبيات للجسد، الطريق الذي لم يدربوا أنفسهم على السير فيه، وبذلك ليس لهم الإيمان الشخصي.

أشراك الغنى

يجيء أحياناً كثيرة الامتحان بالصورة التي جاء بها في قصة إبرام ولوط. نقرأ "وحدثت مخاصمة" وواضح أن علة هذه المخاصمة كانت تتركز في ممتلكاتها، ونلاحظ تكرار القول أنهما لم يقدرا أن يسكنا معاً، والسبب المباشر لذلك هو أن أملاكهما كانت كثيرة، وكثيراً ما يحدث أن المؤمنين يتخاصمون بسبب حسدهم الواحد للآخر، إما بالنسبة للغنى الزمني، أو بالنسبة للمواهب الروحية. نرى المخاصمات بسبب المواهب الروحية في كنيسة كورنثوس، قال الرسول بولس لهؤلاء المؤمنين "إنكم في كل شيء استغنيتم فيه في كل كلمة وكل علم".

من هذا يتبين أن الغنى الروحي الذي لم يحسنوا التصرف فيه كان بسبب المخاصمات والانقسامات بينهم، فيقول لهم الرسول: "إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق"، ثم يضيف لهم القول: "ينتفخ أحد لأجل الواحد على الآخر" (١ كو ١: ٥، ٣: ٣، ٤: ٦). إن الفقر ربما كان يقودهم للارتباط أحدهم بالآخر أما غناهم فقد صار سبباً للانقسام.

وفي قضية إبرام ولوط، كان الغنى الزمني هو علة المخاصمة، وقد نسأل من أين حصلا على هذا الغنى الزمني الذي كان علة المخاصمة؟ نحن نذكر أنه لما خرج إبرام من حاران سائراً في طريق الإيمان، وكان لوط معه أنهما أخذا كل مقتنياتهما، ولكن لم تكن هذه يوماً من الأيام علة مخاصمة بينهما (تك ١٢: ٥). لكن في مصر كان إبرام قد حصل على ثروة كثيرة إذ بعد رد نفسه نقرأ: "وكان إبرام غنياً جداً في المواشي والفضة والذهب". إذن فقد كانت الثروة التي حصل عليها بعدما تحول عن طريق الإيمان، هي علة المخاصمة بينه وبين أخيه، وإذ حدثت المخاصمة بين هذين الأخوين لم يستطيعا في هذه الحالة أن يشهدا لله أمام الكنعانيين والفرزيين الساكنين في الأرض.

مركز الإيمان

هنا نرى أبرام وقد ردت نفسه وأصبح في المركز الصحيح بدوافع صادقة، بينما كان لوط في مكان مناسب، لكنه كان تابعاً لآخر، لأجل هذا نرى أنه بينما كانت المخاصمة فرصة لإظهار التفكير العالمي الذي كان في قلب لوط، فإنها أظهرت أيضاً التفكير السماوي الذي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان في قلب إبرام، الذي استطاع أن يرفض كل ما هو منظور، ويقول للوط: "لا تكن مخاصمة بيني وبينك ... لأننا نحن أخوان". الإنسان الذي يتخذ مركز دون أن يمتلك إيمان شخصي يليق بهذا المركز، سرعان ما يكون هذا الإنسان مصدر نزاع بين الإخوة، ومن الانفصال عن ذاك الذي لا يستطيع أن يتمثل بإيمانه.

إن إبرام الذي كان أمامه الوطن السماوي استطاع أن يتخلى عن العالم الحاضر، بكل ما فيه من راحة وغنى، أما لوط فاختار ما هو الأحسن في نظر الطبيعة. إبرام اكتفى بما اختاره الله له من صعب وسهل عالماً أن كل شيء سيفضي في النهاية إلى أرض الموعد بكل بركاتها.

اختيار الجسد

رأينا أن لوطاً كان تحت تأثير غيره عندما قبل أن يخرج، ولكن إذ ترك لاختياره أظهر أن العالم موجود في قلبه (ع ١٠ - ١٣)، وبدون أن يطلب إرشاد الله له، اختار طريقه بحسب المنظور "فرفع عينيه ورأى كل دائرة الأردن" رأى ما هو حسن حسب المنظور، رأى ما كان يظن أن فيه راحته الحاضرة وغناه، ففي كل مكان في دائرة الأردن رأى ماء لمواشيه دون أن يضطره الأمر لحفر آبار. كما كانت هذه الدائرة خصبة مثمرة "كجنة الرب" وأكثر من هذا كله أنها كانت "كأرض مصر". لقد تبع لوط إبرام يوم أن انحدر إلى مصر، وذاق رخاء مصر، مما أثارت رغائب قلبه لإشباع ميوله العالمية ومسراته الكامنة.

لأجل هذا اختار لوط كل دائرة الأردن، وتخلى عن طريق الانفصال التي لم يكن في قلبه الإيمان الشخصي الذي تتطلبه هذه الطريق، وهكذا ترك أرض كنعان، تركها إلى الأبد.

لم يكن هناك خطأ في اختيار دائرة سقي تتوفر فيها المياه، لكن اختيار لوط لهذه الدائرة برهن على أن قلبه لم يكن موضوعاً على الوطن الغير المنظور الذي وعد به الرب، وعلاوة على ذلك، فإن الخطر الكامن في أرض السقي هذه هو أن الشيطان غرس في وسط هذه الدائرة مدينة سدوم.

لقد بقي إبرام في أرض كنعان، بينما سكن لوط في مدن الدائرة إذ كان قد تخلى عن طريق الإيمان، واختار لنفسه ما رأى حسب المنظور أن فيه راحته. وهكذا كان طريقه في هبوط مستمر، لأننا نقرأ أنه "نقل خيامه إلى سدوم" ونقرأ عن أهل سدوم "أنهم كانوا أشرار وخطاة لدى الرب جداً". ونتعلم أن لوط لم يكن له علاج لهذه الحالة فانحدر وانحدر حتى الغرق وترك المشهد تحت سحابة من الخزي والعار.

اعتراف الإيمان

 All rights reserved © 2008-2018

وإذ تحرر إبرام من ابن أخيه العالمي، أمكن أن يتلقى إعلانات جديدة من الرب. لقد سمح لنفسه أن ينقاد بما رأته عيناه دون قيادة الرب، وكانت النتيجة أن استيقظت شهوات قلبه، وأسرعت خطواته نحو ما اشتهى قلبه.

وإبرام يستخدم عينيه، ولكن في الاتجاه الذي اختاره له الرب. قال الرب لإبرام بعد اعتزال لوط عنه: "ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه" طلب الرب منه أن ينظر في كل مكان في الأرض التي أعطاه إياها. وحسن لنا عندما نتحرر من ثقل الذين ليس لهم إيمان للسير في طريق الانفصال أن نركز عيوننا على الأشياء التي هي فوق "غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى بل إلى التي لا ترى" ونسعى للتمتع بكل إعلان أعطانا إياه إلهنا فيما يتعلق بالمستقبل. بالمدينة السماوية التي لها الأساسات.

وفي هذه الحالة وبهذه الكيفية نستطيع أن ننفذ توجيه الرب لإبرام "قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها" وهكذا إذا تحرر إبرام من مجرد التابعين له فإنه يرتفع فوق كل مخاصمة، وسمح للرب أن يختار له، نراه الآن يتمتع بإعلان سام عن الوطن الذي كان ينتظره بصبر، فينتقل من مكان إلى مكان بخيمته ومذبحه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

النصرة والهزيمة

تكوين ١٤

رأينا في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين البركة التي تتبع طريق الإيمان كإجابة لدعوة الله. كما رأينا كيف يمكن أن تتعرض خطواتنا للزلق ما لم نمسك بقوة الرب.

وقد شاهدنا في الإصحاح الثالث عشر من هذا السفر المؤمن الذي يتنكر للعالم لأنه يعرف طريق الإيمان، وذلك بالمباينة مع المؤمن الذي يسمح لنفسه أن يكون محكوماً بما هو منظور فيصبح اختياره المحزن وهو العالم.

أما الإصحاح الرابع عشر موضوع تأملنا الآن، فيعرض أمامنا حروب العالم – ممالك ضد ممالك – وفي وسط هذه الحروب بينما نرى المؤمن الذي رفض العالم يحرز انتصاراً، فإنه من جهة أخرى نرى السائر بالعيان يقع تحت تأثير قوته. هذا وستنتهي حروب العالم يوماً، وستسفر النتيجة في النهاية عن خلاص شعب الله، ومُلك المسيح ككاهن وملك، وهذه الصورة نراها بطريق الرمز في ملكي صادق ملك ساليم.

الحرب (١ - ١١)

يفتتح هذا الإصحاح بصورة هذا العالم الحاضر الشرير، فنرى تجمع الأمم واتحادها لتنفيذ مطامعها التوسعية ونرى غيرها تقوم بالدفاع عن نفسها من هجوم الآخرين، وفضلاً عن ذلك فهو عالم ظالم حيث نجد الناس مجبرين ضد إرادتهم لتنفيذ مطامع الحكومات أو أنهم يتمردون على الحكومات لينالوا حريتهم (ع ٤) ولذلك نجد العالم كله سواء في الأماكن العالية أو المنخفضة تصطرع فيها الحروب والصراعات.

الأسر (عدد ١٢)

في الحرب التي دارت رحاها بين أرب عة ملوك مع خمسة نجد لنا تعليماً ذا أثر عميق، فما أكبر الفرق بين مؤمن يحكمه العيان، وبين مؤمن يسير بالإيمان. وفي هذه الحرب نرى لوط رجل العيان يقع أسيراً، بينما نرى أبرام رجل الإيمان، في نهاية المشهد، منتصراً على العالم.

ولذلك نقرأ أن الملوك المنتصرين "أخذوا لوط ابن أخي إبرام وأملاكه ومضوا"، وما يلفت انتباهنا أن لوط الذي قرأنا عنه في الإصحاح السابق أنه اختار لنفسه كل دائرة الأردن وأنه "نقل خيامه إلى سدوم" (١٣: ١٢)، ها نحن نراه يخطو خطوة أخرى إلى أسوأ فيسكن في سدوم إذ نقرأ عنه: "إذ كان ساكناً في سدوم". ربما لم يكن في عزم لوط أول الأمر أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يسكن في سدوم لما نصب خيامه مقابلها، لكن الخطوة الخاطئة إنما تقود إلى أخرى أردأ منها، فإذ اقترب من العالم سرعان ما أصبح في العالم، وسكنه في العالم جعله مرتبطاً بحروبه والوقوع تحت تأثير قوته. وإنها حقيقة لا مفر منها أن المؤمن الذي يندمج مع العالم لا تصبح لديه قوة ضد العالم، لأنه حيث لا يوجد الإيمان الذي يضع اعتبارات المجد الآتي أمام العين، فلا تكون هناك قوة تغلب العالم الحاضر الشرير. هذه الحالة نراها في لوط إنه لم يعرف للنصرة طعماً إذ كانت حياته كلها سلسلة من الهزائم الواحدة تلو الأخرى، فعندما خرج من وطنه خرج تحت تأثير "إبرام" وليس على مبدأ الإيمان، ولما جاء الامتحان سقط تحت تأثير المظاهر الحسنة التي تخلب النظر، وإذ اقترب إلى العالم تأثر به وسكن في سدوم. وأخيراً بعد سكنه في سدوم، وجد نفسه وحيداً عندما دارت رحى القتال إذ كان بلا قوة وبلا أصدقاء لمعونته، ولم تكن له قدرة على الاتكال على الله فوقع أسيراً في يد الأعداء.

مباينة (١٣ - ١٦)

لكن بالمباينة مع لوط الذي اختار لنفسه العالم، وأصبح له أسيراً، يستحضر أمامنا رجلاً آخر الذي أنكر العالم، وغلبه.

لم يكن لوط مستعداً في يوم الحرب، لكن إبرام الذي كان في حالة الانفصال، كان على أتم استعداد للحرب، فكان عنده في بيته غلمانه المتمرنون على الحرب، كما كان مستعداً لأن يجاهد الجهاد الحسن، ليس كأهل العالم الذين يحاربون لمطامع شخصية، أو للحصول على غنائم عالمية، بل ليسترجع أخاه الذي كان قد سبي.

إن أسلحة محاربتنا نحن المؤمنين ليست جسدية، ومصارعتنا ليست مع دم ولحم، لكننا نحارب، لأجل الحق، ونجاهد لإنقاذ من يتعرضون لخطر الانزلاق في ديانة العالم أو الذين جرفهم العالم فعلاً في حبائله.

لقد كان الرسول بولس يعيش على ضوء العالم العتيد مفتخراً بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به صلب العالم له، وهو للعالم. مجاهداً الجهاد الحسن وهارباً من شراك الذين يريدون أن يكونوا أغنياء في هذا العالم الحاضر، الذين طعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة، مجاهداً لأجل أولئك الذين كانوا في خطر الانزلاق إلى الأركان الضعيفة للديانة العالمية، فكتب لمؤمني كولوسي قائلاً لهم: "فإني أريد أن تعلموا أي جهاد لي لأجلكم ولأجل الذين في لاودكية" (كو ٢: ١)

وهكذا في رسالة يهوذا نجد روح إبراهيم في هذا القول "مبغضين حتى الثوب المدنس من الجسد"، وأيضاً "أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلم مرة للقديسين". وبينما نحن نفعل ذلك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نظير الرحمة من نحو المؤمنين الذين أسرهم العالم ساعين لاختطافهم من النار (يهوذا ٣ و ٢٢ و ٢٣).

تعويض (١٧ - ٢٤)

وكما رأينا إبرام منتصراً على عداوة العالم، نراه أيضاً ينتصر على عطايا العالم وإغراءاته. نحن كثيراً ما ننتصر على عداوة العالم، لكننا ننهزم أمام ما يُظهر لنا من عطف وصداقة. والمؤمن لا يكون أكثر تعرضاً للسقوط بمثل ما يكون في لحظات الانتصار حيث يكون غير حذر، وهذا ما يعرفه العدو جيداً ولهذا يأتي بتجاربه في اللحظة التي لا نكون فيها مسلحين، وهذا ما فعله مع إبرام إذ نقرأ "فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدرلعومر والملوك الذين معه".

لكن إن كان ملك سدوم جاء ليجرب إبرام، فإن ملكي صادق كان هناك ليسنده ويعضده.

وفي الرسالة إلى العبرانيين يعطينا الروح القدس المعنى الروحي لهذا المشهد الجميل، فملكي صادق لنا كمثال لأمجاد المسيح، فاسمه ومدينته تعلنان أنه ملك البر وملك السلام وهو أيضاً كاهن الله العلي (عب ٧: ١ - ٣) إنه كملك يأتي بالبر والسلام لشعبه، وككاهن يقود تسبيحات شعبه لله، وكممثل لله لدى شعبه فإن ملكي صادق يبارك إبرام، وكممثل للإنسان أمام الله فإنه يبارك الله العلي عن إبراهيم.

ولذلك ففي أيام الملك الألفي السعيد سيُعرف الله "كالعلي" ويخلص شعبه الأرضي من أعدائه ويتعامل بالقضاء مع كل قوى الأعداء، وعندئذ يظهر المسيح كالملك والكاهن معاً وهذا ما نقرأه بصورة مباشرة في النبوة "وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه ... وتكون مشورة السلام بينهما كليهما" (زك ٦: ١٣) فسيكون هو ملك البر الحقيقي وملك السلام، كما سيكون كاهن الله العلي.

وقد قدم ملكي صادق لإبرام خبزاً وخمراً، فسددت أعواز إبراهيم وضمنت أفراحه، فاستطاع أبرام أن يرفض ما قدمه له العالم، ورفع يده إلى الرب العلي، مالك كل ما السماء وعلى الأرض، وإذ كان قد بارك الرب الإله العلي، رفض كل ما عرضه العالم عليه لئلا يقول "أنا أغنيت إبرام".

ويستطيع المؤمن الذي باركه الله بكل بركة روحية في السماويات، وصار له غنى المسيح الذي لا يستقصى، أن يسمو فوق غرور العالم ويرفض عطاياه ومجده، ويقتفي أثر السلام في حياة الإيمان بالانفصال، والإيمان إنما يسير في هذا الطريق على ضوء المجد العتيد، كما أن الإيمان على يقين أن كل محاربات العدو سوف تأتي إلى نهايتها عند المسيح المجيد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عندما يخلص شعبه المسكين والفقير ويتأسس البر والسلام، كما نقرأ "يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق. تحمل الجبال سلاماً للشعب" (مز ٧٢: ٢ و٣) له كل المجد.

 All rights reserved © 2008-2018

البنوة والميراث

تكوين ص ١٥

رأينا في الإصحاحات من ١١ – ١٤ من سفر التكوين الشهادة العلنية التي شهد بها إبرام أمام الناس. أما القسم الثاني من تاريخه وهو المكون من الإصحاحات ١٥ – ٢١، فنرى فيه ما اجتازته نفس إبرام من تدريبات أمام الله. ومن الواضح أن ارتحال إبرام من حاران، وخيمته، ومذبحه، ورفضه للعالم وانتصاره على الملوك كانت هذه جميعها أموراً منظورة رآها الناس والتي بنت حياة الإيمان والنهاية المجيدة التي قادت إليها أما الآن فإننا نؤخذ لنرى التدريبات النفسية الداخلية التي كانت وراء شهادته العلنية.

ويا لها من لحظة عميقة أن نتحقق أننا لسنا مدعوين لمجرد أن نشهد فقط عن أمور هي في ذاتها حق، بل لنشهد أيضاً لحقائق لها تأثيرها العملي في نفوسنا.

ومن خلال هذه المشاهد العجيبة، نجد الأحاديث والعلاقات الحميمة بين الله وبين الإنسان تحت الآلام مثلنا. لقد ظهر الله لإبرام في رؤى، كما في زيارات شخصية، وتكلم معه، وقبل ضيافته، وفي كل هذه الأحاديث كان الله يعلن له مقاصد قلبه من جهة نفسه ومن جهة نسله، كما كان يعامله كخليل فيفضي إليه بفكره عن العالم.

إعلان الله (ع ١)

كان أبرام في كامل الثقة يبسط حاجته قدام الله، ويخبره بمشاكله كما ويطلب أيضاً لأجل الآخرين. ونحن نجد تعليماً عميقاً إذ نتأمل في نعمة الله المتنازلة إلى عبده هذا من جهة ومن جهة أخرى نرى ثقة إبرام بإلهه. وعلى ضوء إعلان الله الكامل لنا كأبينا يستطيع المؤمنون أن يتمتعوا بشركة أعظم مع الله ولو بشكل محدود، وحسن لنا أن نتحدى قلوبنا من جهة مدى معرفتنا لهذه الشركة المباركة، فنجد في حلاوة ثقة البنين ما يشجعنا أن نتقدم بكل مشاكلنا إلى الله ونبسط حاجتنا قدامه، وفي ثقة المحبة نطلب لأجل الآخرين أيضاً. فإننا نتشجع بهذه المشاهد الحلوة على الأقل لنزرع مثل هذا الارتباط بالله.

إن المناسبة التي نجد فيها هذا الترابط النشيط يعطينا تعليماً عميقاً، فإذ رفض إبرام كل عطايا العالم وأمجاده نقرأ "بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى إبرام في الرؤيا قائلاً. لا تخف يا إبرام. أنا ترس لك. أجرك كثيراً جداً". (أو أنا أجرك الكثير جداً) إن النصرة التي أحرزها على الملوك حركت العداوة في قلوبهم من جهة إبرام فاحتاج إلى ترس، كما أن رفضه العالم وعطاياه احتاج إلى مكافأة وأجر. ولا شك أن حماية الله ومكافأة الله تفوقان بما لا يقاس كل ما يقدمه العالم. وما دام الله هو نفسه ترسنا فنحن لا نخاف انتقام أعداء

 All rights reserved © 2008-2018

مهزومين، وما دام الله نفسه ترسنا فنحن لا نخاف انتقام أعداء مهزومين، وما دام الله نفسه هو أجرنا فنحن نستطيع أن نستغني به عن كل عطايا العالم.

جواب الإيمان (٢ و ٣)

ما أجمل ما أجاب به الإيمان. لقد قال الله "أنا .... أجرك كثير جداً" وإبرام في كامل الثقة، بناء على كلمة الله التي قالها له يسأل: إذا كان الأمر كذلك "ماذا تعطيني؟"، ثم يبسط حاجته قدام الله، وكأنه يقول له: أنت تكلمت عن نسل لي ووعدتني بالأرض لكنني ماض بدون ولد، وكل ما أملك سيؤول إلى عبدي أليعازر. أعطيتني الأرض وتكلمت عن نسل ولكن لم تعطِني نسلاً والعبد هو الوارث لي.

مكافأة النعمة (ع ٤)

وهكذا جاءت إجابة الرب لإبرام، إنها الإجابة الإلهية بأن عطاياه له تكون أكثر مما طلب. لقد طلب إبرام ابناً، ولكن الرب وعده بأن يعطيه ليس ابناً فقط بل ويعطيه أيضاً ميراثاً لنسل. فكانت البنوة والميراث هما جواب الرب. قال له "الذي يخرج من أحشائك هو يرثك" وأيضاً قال له "أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها". هذه الأقوال تشرح لنا الحقيقة الواردة في الرسالة إلى أهل رومية ص ٨: ١٧ "فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً"، فالبنوة والميراث سواء أكان للشعب الأرضي أم للشعب السماوي يرتبطان الواحد بالآخر كل الارتباط ونصيبنا في المستقبل مرتبط بكوننا أولاداً، فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ولا يمكن أن يكون لله أولاد دون أن يعد لهم ميراثاً.

"حسب له براً" تك ١٥: ٥ ــ ٧

ولكن هذه الصورة الجميلة تشرح لنا حقاً آخر هو أن المؤمنين هم "جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع" (غل ٣: ٢٦). لا شك أن الإيمان كان موجوداً من قبل لكن هذه أول مرة نقرأ فيها أن إنساناً "آمن بالرب" كما نرى هذا الإيمان واضحاً في بساطة تامة. لقد استحضر إبرام من كل ما يحيط به من ظروفه الخاصة وكل ما طلب منه أن ينظر ويصغي ويؤمن. كان عليه ألا يتطلع إلى سارة ولا إلى نفسه ولا إلى الأرض ولا إلى أي شيء من الطبيعة بل يقول له الرب "انظر إلى السماء". وإذ كان يتطلع إلى نجوم السماء كان يصغي إلى ما يقوله الله "هكذا يكون نسلك" "فآمن بالرب فحسبه له براً".

ونحن نعلم كيف استخدم روح الله هذا المشهد في الرسالة إلى أهل رومية ص ٤ ليرسم الطريق الذي يسلكه المؤمن في المسيح ليحسب في حالة البر أمام الله. نحن كأناس خطاة يقدم لنا الله المسيح ويقول لنا "انظروا"، "أصغوا". انظروا إلى السماء وثبتوا عيونكم على المسيح وأصغوا لما يقوله الله عن المسيح: إنه مات لأجل الجميع، والله شبع بعمله. تطلعوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إلى يسوع، وأصغوا إلى ما يقوله الله عنه، وإذ تؤمن النفس المحتاجة بالمسيح يسوع كالذي مات لأجلها، عندئذ يعلن الله لهذه النفس التي آمنت أنها تبرأت من كل خطاياها، وأنها قد أصبحت في حالة بر أمام الله، وإنها صارت من أولاد الله، وبالتالي وارثة لله بالمسيح.

غفران الخطايا (٨ – ١٠)

وفضلاً عن ذلك فإن إبرام تعلم درساً آخر وهو وجوب أن تكون الذبيحة هي الأساس لهذه البركات، وهكذا ينبغي علينا أن نذكر دائماً أن الأساس الأبدي لبركاتنا هي في الذبيحة العظمى "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة". لا شك أنه توجد درجات متفاوتة في تقديرنا نحن لذبيحة المسيح، كما نفهم من مختلف الحيوانات التي طلب من إبرام أن يقدمها، لكن الذبيحة وحدها هي الضامنة لكل البركات.

والآن وقد رأينا أن كل بركتنا تتوقف على ذبيحة المسيح العظمى نرى أيضاً محاولات العدو المستمرة في مهاجمة هذه الذبيحة المباركة، والعمل على التقليل من قيمة هذا العمل الكامل. وواجبنا نحن المؤمنين في هذه الحالة هو أن ندافع عن هذا العمل الكامل. وواجبنا نحن المؤمنين في هذه الحالة هو أن ندافع عن هذا الحق الثمين، ونزجر بل ونطرد طرداً كل طير نجس يحاول مهاجمة هذه الذبيحة بقصد التقليل من قيمة دم المسيح الكريم الثمين.

وما دامت هذه الذبيحة هي أساس كل بركة فما أحرى كل نفس أن تخصص لذاتها بالإيمان موت المسيح. إن "مغيب الشمس" "والسبات" "والرعبة المظلمة العظيمة"، كل هذه تتحدث عن اختبارات النفس المتألمة وهي تدخل في المعنى العميق للصليب. ألم يختبر نفس الرسول بولس هذه التدريبات بعد أن رأى المسيح في المجد فقيل "وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب" (أع ٩: ٩)؟.

وأخيراً تعلم إبرام أن الطريق إلى المجد هو طريق الآلام. ودخل نسله بكل يقين إلى أرض الموعد ولكن كان عليهم أن يجتازوا الآلام أولاً. ونحن نرى في رومية ٨: ١٧ هذه الحقائق الأربع المار ذكرها وهي: إننا أولاد الله، وورثة الله مع المسيح، وإننا نتألم مع المسيح، وأخيراً نتمجد أيضاً معه. هذه كلها نراها في قصة إبرام الذي رأى وراء تنور الآلام نور المجد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الجسد والناموس

تكوين ١٦

تعلمنا من الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين أن البركة قد وعدت بالتحديد إلى إبرام، وإن هذه البركة هي من مجرد النعمة المطلقة والتي تقوم على أساس الذبيحة. والحق العظيم الراسخ أن كل بركة سواء أكانت لشعب الله الأرضي أو للشعب السماوي هي من مجرد نعمة الله الغنية المطلقة، حتى في بر الله الكامل، وذلك بواسطة ذبيحة المسيح.

الامتحان

لقد وعد الله إبرام بان يعطيه ابناً، وآمن إبرام بالله (١٥: ٤ - ٦) ولكن الله امتحن صبره إذ نقرأ "وأما ساراي امرأة إبرام فلم تلد له" (١٦: ١) كيف إذن في هذه الحالة يمكنه أن يحصل على الوارث؟ وتحت الامتحان فشل إبرام في صبره، وبدلاً من أن ينتظر وقت الرب، نراه يحاول أن يحصل على البركة التي وعد بها عن طريق محاولاته الشخصية، وعجيب انه في الرسالة إلى العبرانيين يقدم لنا إبراهيم كالمثل العظيم للذين بالإيمان والأناة يرثون المواعيد. (عب ٦: ١٢ - ١٥) ولكن في تاريخه، كما وفي تاريخ كل واحد منا يجيء الفشل في ذات الشيء الذي نتميز به، وفي ص ١٢ لما وضع إيمان إبرام في الامتحان فشل، وهنا في ص ١٦ نرى إبرام يفشل في صبره أيضاً.

التجربة

كما في مرة سابقة، كانت مصر شركاً لإبرام إذ حولته عن طريق الإيمان وأبعدته عن تدريبات الطريق إذ كانت قريبة منه، كذلك كانت الجارية المصرية شركاً لإبرام في طريق أناته وصبره، إذ كانت في بيته. ومع أن نفس إبرام كانت قد ردت لكن نتائج انحداره إلى مصر كانت لا تزال ظاهرة، فإن شيئاً من العالم كان قد دخل بيته، بحيث إذا ما فكر الجسد أن يعمل بسهولة ما يستخدمه. وكم هو صحيح أن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً، ونحن إذا ما أهملنا وأدخلنا إلى بيوتنا شيئاً من العالم، فإن هذا الشيء سيعطي للجسد فرصة ليظهر ويعمل.

ونلاحظ أن الرسول بولس في الرسالة إلى أهل غلاطية ص ٤: ٢١ – ٢٦ يشير إلى هذه الحادثة معطياً معناها الروحي، فيذكّر كنائس غلاطية أنه كان لابراهيم ابنان: واحد من الجارية والآخر من الحرة، والذي من الجارية وُلِدَ حسب الجسد، بينما الذي من الحرة فبالوعد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التعليم

ثم يخبرنا الرسول أن كل ذلك رمز للعهدين: عهد الناموس المرتبط بسيناء الذي يؤدي إلى العبودية مرموزاً إليه بهاجر وابنها، وعهد النعمة المرتبط بأورشليم العليا الذي يفضي إلى الحرية مرموزاً إليه بسارة وابنها.

الميل

ولقد رأى الرسول في المؤمنين الغلاطيين، وهم متجددون بكل يقين، ويسكن الروح القدس فيهم، رأى فيهم ميلاً لاتخاذ الناموس قانوناً لحياتهم وكأنهم بهذا العمل يريدون أن يجعلوا بركاتهم تعتمد على مجهوداتهم الشخصية، وبلغة الرمز صاروا أبناء سيناء، ولهم الصفة التي تتميز بالجسد، بينما لو التصقوا بحرية أورشليم العليا التي تتميز بالنعمة المطلقة لأظهروا صفات المسيح، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل وضعوا أنفسهم تحت الناموس فظهرت فيهم روح الكبرياء وروح المجد الباطل التي قادتهم للحسد، فكانوا ينهشون ويأكلون بعضهم بعضاً، وانجذبوا إلى العالم (غل ٤: ٢١، ٥: ١٥ و٢٦) وكانت رغبة الرسول من كل قلبه أن يتصور المسيح فيهم حتى تسطع من حياتهم صفات المسيح الرائعة الجميلة (غل ٤: ١٩).

وإذ نعود إلى قصة إبرام نرى أن النتيجة الوحيدة للحصول على الوارث بمجهوداته الجسدية كانت إدخال شيء من الجسد إلى البيت "المولود من الجسد جسد هو". فالطبيعة لا يمكن أن تنتج إلا طبيعة، وعليه فمساعي إبرام الجسدية إنما أنتجت الرجل الطبيعي المضطهد للنسل الروحي.

المأساة

في هذا الوقت دخل عنصر غريب في العائلة، فالتي ترمز إلى المجهودات الجسدية كانت تحتقر من سيأتي عن طريقها البركة (عدد ٤) وعليه فسارة وهاجر تصوران لنا الحقيقة، أن الذي من الجسد لا يمكنه أن يتفق مع الذي من الروح إطلاقاً "لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر" (غل ٥: ١٧) وأكثر من ذلك نرى هاجر منجذبة نحو العالم، لأنها وجدت في برية شور على حدود مصر (ع ٧) وقد أخبرها الملاك أن الذي تلده يكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد ويد كل واحد عليه (ع ١٢).

الرمز

إن تطبيق هذه الحقائق على أنفسنا واضح كل الوضوح، فقد نكون مثل إبرام مؤمنين حقيقيين، ومثل الغلاطيين نتمتع بسكنى الروح القدس، ولكننا في حياتنا اليومية نتخذ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الناموس قانوناً لحياتنا، ونظن أن استمرارنا في رضا الله ونعمته إنما يتوقف على سلوكنا الحسن، ومجهوداتنا الناموسية، وتكون النتيجة في هذه الحالة مزدوجة، أولاً: يداخلنا البر الذاتي الذي يقودنا إلى الكبرياء والغيرة من الآخرين، وثانياً: أننا نحرم من التمتع بالحرية التي حررنا بها المسيح، وتعوزنا في هذه الحالة النعمة والمحبة، ونفشل في إظهار ثمر الروح الذي يبرز المسيح في حياتنا (غل ٥: ١ – ٦ و ٢٢).

التفسير

كما نلاحظ أن التفسير المعطى لنا في الرسالة إلى غلاطية لهذا الرمز ليس لخاطئ يحاول أن يتبرر بأعماله، بل مؤمناً يحاول الحصول على قداسة الحياة عن طريق مجهوداته الناموسية وقوته الذاتية.

وواضح أن المسيحية سقطت في هذه الحالة الناموسية الغلاطية، وليس معنى هذا أن الحقائق المسيحية قد وضعت كلها جانباً، لكن الوسائل التي ترمز إليها هاجر أدخلت في دائرة الاعتراف المسيحي. لذلك نرى كثيرين من المسيحيين الحقيقيين في حالة استعباد وذلك عن طريق محاولتهم في تنظيم سلوكهم بواسطة الناموس ليكون لهم السلوك الحسن، فيحظون برضا الله كما يظنون، وفاتهم أن السلوك الحسن إنما ينبع من هذه الحقيقة المباركة، وهي أن موت المسيح حصَّلَ لهم رضاً إلهياً مباركاً، ويستطيعون أن يسيروا حسناً بمقتضى قوة المسيح.

لا شك أن هذه القصة ترينا تاريخ الشعب تحت الناموس، محاولاً نوال المواعيد عن طريق أعمالهم، وما هم في هذه الحالة إلا كهاجر تائهين الآن عن أرضهم وهم سائرين في برية العالم وفي تضاد مع جميع الناس وكل إنسان مضاد لهم. وبالرغم من أن الأمة محبوبة من أجل الآباء وعناية الله لم تتخلَّ عنهم، كما وجدت هاجر أيضاً في البرية عين ماء وملاك الرب رأى كل مذلتها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الله القدير والعهد الأبدي

تكوين ١٧

الإصغاء إلى إعلان الله عن نفسه (ع ١، ٢)

نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين عن إبراهيم هذا القول "وهكذا إذ تأنى نال الموعد" (عب ٦: ١٢ - ١٥) ولقد رأينا في قصة هاجر وإسماعيل كيف أنه فشل في الصبر تحت الضغوط التي أحاطت به وتختم القصة بهذه الجملة "وأن إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام". لكننا بعد ذلك نقرأ القول "ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام"، وبعد فترة من الزمن قدرها ثلاث عشرة سنة فيها تجلى صبر إبرام – وفي هذه السنوات لا نقرأ عن حديث للرب مع إبرام، وذلك لأن الله كان متأنياً حتى ينتهي كل رجاء لإبرام في الحصول على البركة عن طريق المجهودات الجسدية والتي وعد الله بها.

وإذ عرف إبرام أن مجهوداته التي يبذلها للحصول على الوارث الموعود به صارت بلا قيمة، وإذ ظل منتظراً حتى بلغ التاسعة والتسعين من عمره، وتحقق من ضعفه العام، عندئذ ظهر له الرب وأعلن له ذاته "كاالله القدير" وهذا الإعلان هو أسمى من كل إعلان سابق. ففي الإصحاح الخامس عشر من هذا السفر قرأنا أن الله أعلن ذاته لإبرام أنه ترس له وأنه أجره العظيم جداً، فهناك كان الإعلان لإبرام عما هو الله له، أما هنا فنجد إعلان الله عما هو في ذاته.

ويرتبط بهذا الإعلان ما قاله الرب لإبرام: "سر أمامي وكن كاملاً" وكما رأينا طريق إبرام لم يكن كاملاً أمام الله، مع أنه رجل الإيمان الحقيقي والأناة، وإن كان في موضوع الانحدار إلى مصر أظهر عدم الإيمان، وفي موضوع هاجر فشل في الأناة. لكن إذ تعلم ضعفه أمكن أن يتعلم أن الله قدير. وما دام الله هو القدير فلا بد أن مقاصده ومواعيده تتم مهما بدا إتمامها مستحيلاً للطبيعة وللمنظور وللجسد. فقط كان على إبرام أن يذكر أن الله هو القدير وعندئذ تختفي كل صعوبة أمامه. ويستطيع أن يتغلب على كل عقبة وفي إيمان هادئ وطول أناة ينتظر الله لكي يعمل في وقته المناسب، ولا يعود ينتظر شيئاً من الطبيعة، لأن كل شيء يتوقف من البداية إلى النهاية على الله القدير الذي قال "أجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً". ونستطيع أن نقول "إذا أراد الله" فمن غير الله القدير الذي يقول بحق "أريد".

سقوط إبرام على وجهه أمام الله (ع ٣)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ما أسمى تأثير هذا الإعلان الجديد على إبرام. لما صارت كلمة الرب السابقة إلى إبرام في رؤيا لتعلن ما هو الله له، رأينا إبرام في الحال يفكر في نفسه وبثقة تامة يتكلم مع الله ويبسط حاجاته قدامه ويطرح المشاكل أمامه. أما هنا لما ظهر الله له شخصياً معلناً ما هو في ذاته نرى أن إبرام يسقط على وجهه ويصغي لما يتكلم به الله معه، متحققاً أنه أمام عظمة الله هو لا شيء، لذلك أخذ المركز المتضع على وجهه. إذن إن كان الإعلان الأول قاد إبرام للتفكير في نفسه وفي حاجته، فهذا الإعلان الثاني قاده للتفكير في الله، بل وشكل فيه صفة تتناسب مع من فيه وحده سداد حاجته ليسير ويكون كاملاً.

ما أجمل هذه الأمثلة العملية لذلك الترابط الحميم المبارك بين الله والمؤمن! فالله يعلن لإبرام أنه له فيثق إبرام وعندئذ ينطلق الكلام مع الله، وأيضاً يأخذ إبرام مكانه اللائق به أمام الله عندئذ يتكلم الله معه.

وكم يتطلب في أيامنا الحاضرة هذه أن تكون لنا هذه الإعلانات المتنوعة عن الله، ونحتاج أن نعرف أن الله لنا في مطلق نعمته وفي كمال محبته، لأن مثل هذه المعرفة تقودنا إلى الشركة الحلوة مع إلهنا، وتشجعنا على بسط حاجاتنا وأعوازنا قدامه وكذلك كل مصاعبنا وتجاربنا، ولكن لنا أيضاً أن نعرف أعظم إعلان عن الله في ذاته أنه هو أبونا – هذا الإعلان يقودنا إلى الإحساس الحقيقي بأننا لا شيء أمامه، وإذ يسر القلب بالرب الذي هو غرضه يتغير إلى صورة من ينظر إليه "نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد" سواء كان في أيام إبراهيم أو في أيامنا. وهكذا نرى أن التقدير الصحيح لهذا الإعلان يجعل الرب يقودنا للتشبه بنفسه. وبهذا المعنى نسير أمامه ونكون كاملين.

قبول الإعلانات من الله (ع ٤)

وقد سمح لنا أن نسمع الآن هذه الإعلانات المباركة إذ يتكلم الله مع إبرام – وأول شيء يتكلم به هو أن نعمته ستمتد إلى الأمم، لأنه ما دام هو "الله القدير" فلابد أن يسمو فوق كل الحواجز ويبارك الأمم. والشيء الثاني الذي يرتبط بإعلان الله كالقدير هو تغيير اسم إبرام إلى إبراهيم الذي يعني "أباً لجمهور من الأمم" وبهذا يكرم الله عبده. والشيء الثالث الذي أخبر به إبراهيم هو أنه يكون مثمراً جداً، فلا تتبارك الأمم فقط بل عن طريقه يكون هناك ثمر كثير جداً لله على الأرض. والشيء الرابع هو أنه علاوة على بركة الأمم فإن إبراهيم ونسله يكونون في علاقة وثيقة مع الله الذي قال له "وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك". وهذا العهد سيكون عهداً أبدياً بمقتضاه يكون الله إلهاً لإبراهيم ولنسله من بعده. والشيء الخامس والأخير هو أن الله لا يقيم عهداً أبدياً بل يعطي لإبراهيم ونسله ملكاً أبدياً.

المسئولية نحو الله (ع ٩ - ١٣)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذه هي بعض البركات المتعلقة بالعهد الأبدي الذي أقامه الله مع إبراهيم، وفي الواقع هذا العهد يرينا قصد الله في البركة لأننا نلاحظ في هذا الحديث أن الله يشير إلى ذاته بالعبارات "لأني أنا"، "لأني"، ومثلها سبع مرات. وقد تعلم إبراهيم أن الله يقصد بل ينتظر تجاوباً في حياته لنعمته فيسير أمامه ويكون كاملاً.

ونحن كمسيحيين لا يطلب منا – كما لم يطلب من إبراهيم أيضاً – أن نسير بكمال لكي ننال البركة بل المطلوب منا لأن نسير في طريق ممجد لإلهنا لأنه قد باركنا فعلاً. غير أن السير هكذا بكمال أمام الله يتطلب منا الاتكال عليه وعلى قوته القادرة وهذا الأمر يتطلب وضع الجسد جانباً، ولهذا السبب أعطي الختان كعلامة لموت الجسد، وبذا يتسنى لنا أن نكون كاملين أمام الله. هذا ونلاحظ أن الموت جاء في الإصحاح الخامس عشر من هذا السفر كأساس للتبرير، أما هنا فيشار إلى رفض الجسد لكي نسلك بقداسة وكمال. وما دام الله وعد بالبركة بمقتضى قوته القادرة. فالأمر يتطلب من جانبنا عدم الثقة في الجسد، وعدم السماح له بالعمل بأي حال من الأحوال، لأن الختان للمؤمن اليوم كما نعرف هو "ختان القلب بالروح لا بالكتاب (أي بالحرف) الذي مدحه ليس من الناس بل من الله" (رو ٢: ٢٩) إن رفض الجسد ليس هو فقط مظهراً خارجياً يراه الناس في سلوكنا، لكنه أيضاً رفض لحركات الجسد الداخلية في القلب مثل الثقة في الذات والبر الذاتي والشهوات الباطلة وكل ما قضي عليه في صليب المسيح. (كو ٢: ١١). هذا وأن السماح للجسد ليعمل في المؤمن يتطلب بمقتضى سياسة الله الحكم على المؤمن تأديبياً، وقد يصل هذا الحكم إلى رقاد الموت.

ولا يفوتنا أن نذكر أن الله بارك أيضاً ساراي فقال لإبراهيم "ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة". ولقد امتلأ قلب إبراهيم بالفرح بسبب هذه الإعلانات، لأن الضحك هنا كان بسبب الفرح. ومما لا شك فيه أن هذا النص يرينا أن الضحك يتكلم عن الفرح لا عن عدم الإيمان.

التوسل لدى الله (ع ١٨ – ٢١)

ويتوسل إبراهيم من أجل إسماعيل، ويسمع الله صلاته. ومع ذلك فإن الله يعيد على سمعه مرتين أن العهد سيكون مع ابن الموعد اسحق.

ومن رومية ٩: ٦ – ٩ نفهم أن إسماعيل يمثل غير المؤمنين من جمهور إسرائيل، ولذلك نقرأ "لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد بل بإسحق يدعى لك نسل". فغير المؤمنين من الأمة هم أولاد إبراهيم بحسب الجسد. أما البقية المؤمنة منهم فقط النسل الحقيقي بحسب الموعد. ومع هذا فإن أولاد الجسد يحسبون أمة عظيمة في الأرض.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حفظ العهد مع الله (ع ٢٢ - ٢٧)

وإذ فرغ الله من الكلام مع إبراهيم صعد عنه. وقد تمم إبراهيم بدوره العهد في ذات اليوم بإجراء فريضة الختان لحفظ العهد مع الله. إنه تمم الكلمة التي سمعها بصورة عملية وسار متوافقاً مع الإعلان الذي تكلم به الله عن نفسه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بركات وامتيازات

تكوين ١٨

تعلمنا من ص ١٧ كيف أن الله أظهر لإبراهيم في هذه الصفة "الله القدير" أي الذي يقدر أن يتمم مواعيده بالبركة على الرغم من كل صعوبة، وفي نور هذا الإعلان كان لزاماً على إبراهيم أن يسير أمام الله، ويكون كاملاً ولا تكون له ثقة في الجسد.

وفي إصحاح ١٨ الذي أمامنا نرى البركات والامتيازات للشخص الذي كان سيره متفقاً مع إعلان الله لذاته بأنه القدير، ونرى أربعة امتيازات تمتع بها إبراهيم وهي:

أولاً. ظهور الرب شخصياً له (ع ١ - ٨).

ثانياً. التوكيد بالبركة عن طريق الوارث الذي وعد به (ع ٩ - ١٥).

ثالثاً. معاملة الله له كخليل فأفضى إليه بما هو فاعله (ع ١٦ - ٢١).

رابعاً. إذ كان إبراهيم قريباً من الله واثقاً فيه، تسنى له أن يشفع في الآخرين (٢٢ - ٣٣).

الزيارة الإلهية (ع ١ - ٥)

إن أول امتياز عظيم يتمتع به المؤمن في نور الإعلان عن الله الذي أعطى نفسه والذي ليست له ثقة في الجسد هو في إظهار الرب ذاته له شخصياً.

في أول هذه الإصحاح نرى إبراهيم جالساً في باب خيمته كشخص غريب، في راحة تامة، بعيداً عن العالم وخصوماته. وهل لا يوجد خطر في وقتنا الحاضر على المؤمنين المشغولين بما هو جار من حوادث في هذا العالم؟ ليتنا نعرف أكثر ونقدر أكثر قيمة الراحة التي تجيء إلى النفس نتيجة للاستجابة لدعوة الله فننفصل عن العالم، ونحن في كامل الثقة في إلهنا ودون أن نثق في الجسد. لمثل هذا المؤمن يأتي الرب كما جاء لإبراهيم ليتحادث معه. والكيفية التي جاء بها الرب لإبراهيم تسترعي منا كل انتباه. لقد رفع إبراهيم عينيه ونظر "وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه" ونحن نعلم من تفاصيل القصة أن اثنين منهم كانا ملاكين وقد ظهرا إنهما كذلك في باب سدوم (ص ١٩: ١) أما الثالث فكان هو الرب نفسه ظاهراً في صورة بشرية، وفي هذه الصورة نرى ظلاً للوقت الذي سيصير فيه ابن الله جسداً، ويحل بين الناس.

الخدمة الإلهية (ع ٦ - ٨)

 All rights reserved © 2008-2018

بحسب الظاهر لم تكن هناك علامة خارجية كان يستطيع إبراهيم أو غيره أن يميز بها حضور الرب، كل ما كان يراه العيان هو ثلاثة رجال أمام باب خيمته، لكن إبراهيم بما أعطي من تمييز روحي كرجل إيمان يعيش قريباً من الله استطاع أن يميز الرب والملاكين، وفي احترام تام سجد إلى الأرض وبدأ يخاطب الرب شخصياً قائلاً له "يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك" كما استأذن أن يأتي بقليل ماء ليغسلوا أرجلهم ويتكئوا تحت الشجرة حتى يعد لهم ما يسند قلوبهم، ويقدمه لهم.

ولقد سمح الرب أن يفعل كما تكلم، فأعد لهم الطعام ووضعه قدامهم "وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا" ونحن في وقتنا الحاضر إن كنا نسلك في ضوء معرفتنا لله كالآب أفلا نتمتع بكل تأكيد بالشركة الحلوة المباركة مع الأقانيم الإلهية، وإن لم يكن ذلك بالكيفية التي ظهر بها الرب لإبراهيم، لكننا بالروح القدس المرسل من عند الآب ننقاد لهذه الشركة المباركة جداً. ونحن نذكر انه في الليلة الأخيرة في العلية، أخبر الرب تلاميذه بأنه سيتركهم بالجسد، ولكن سيكون ممكناً لهم أن يتمتعوا بقوة الروح القدس بشركة أعمق لم يسبق لهم أن عرفوها مدة وجود الرب معهم على الأرض، وتكلم معهم عن الروح الذي كان الآب مزمعاً أن يرسله فقال لهم "في ذلك اليوم (وهو اليوم الذي نعيش فيه).. الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي"، وأيضاً "إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً". (يوحنا ١٤: ١٦ - ٢٥).

وفي هذا الإصحاح من سفر التكوين نقرأ لأول مرة في الكتاب عن غسل الأرجل، والفكرة في غسل الأرجل هنا هي إنعاش الشخص الذي تغسل رجلاه، وإبراهيم يحظى بهذا الامتياز فيقدم ماء لغسل قدمي ذاك الذي سوف يأتي يوماً ويصير جسداً، وفي محبته التي تسر أن تخدم، وفي غنى نعمته، سوف يتنازل لغسل أرجل تلاميذه الفقراء – وإن اختلفت الغاية.

الحديث الإلهي (ع ٩ - ١٥)

يتخذ الرب فرصة الشركة هذه فيثبت إيمان إبراهيم مؤكداً له ولادة ابنه، وهذا الموضوع يخص سارة أيضاً لذا سأل الرب إبراهيم "أين سارة امرأتك" ثم واصل الرب كلامه قائلاً "إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن" ومن يقدر أن يقول هذا القول غير الأقنوم الإلهي؟ إن قاله إنسان يكون مجدفاً، لكن الرب وحده يستطيع أن يقول "إني أرجع إليك" وفي هذا الوقت توطد إيمان إبراهيم وتثبت بكلمات الرب اليقينية. والرب هو هو يسر بأن يثبت قلوبنا الخائفة بقوله لنا "آتي أيضاً وآخذكم إلي"، "لا أترككم يتامى إني آتي إليكم" (يو ١٤: ٣ - ١٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سمع إبراهيم هذا الوعد العظيم وهو متحقق تماماً بمجد ذاك الذي يكلمه، ولذلك لا نراه يبدي أية دهشة، ولا يقدم أي اعتراض، ولا يظهر شكاً، بخلاف ذلك كانت سارة فلم يكن لها التمييز الروحي الذي كان لزوجها فهي سمعت ما قيل، لكنها لم تتحقق في نفسها مجد المتكلم فشكت في ما قيل، وذلك لأنها نظرت إلى نفسها أنها شاخت، وجسدها ضعف، وحسبت أن الكلام الذي قيل لا يمكن أن يتم، وضحكت في قلبها إذ ضحكت في عدم إيمان، ضحكت لما سمعت أنه سيكون لها ابن، لكن الرب وبخها على عدم إيمانها وذكر إبراهيم أنه إن كان مستحيلاً إتمام هذا الوعد بحسب الطبيعة لكن هل يستحيل على الرب شيء؟

وإذ واجه الرب سارة بعدم إيمانها خجلت أن تقبل الحقيقة، وكثيراً ما يقود الخوف من النتائج إلى الكذب، وهكذا "أنكرت سارة قائلة لم أضحك" صحيح أنها لم تضحك بصوت عال، لكنها ضحكت في قلبها وكان عليها أن تعلم أنها في حضرة ذاك الذي يستطيع أن يقرأ ما في قلبها ويراها وإن كانت وراء باب الخيمة.

النبوة الإلهية (ع ١٦ - ٢١)

إنه لأمر مبارك أن يتكلم الرب في وقت لاحق بالنبي أشعيا ويقول عن إبراهيم "خليلي" (أشعيا ٤١: ٨) وفي المشهد الذي أمامنا يعامل الرب إبراهيم كخليله. صحيح كما قيل إننا نتكلم مع الخادم عن عمله الذي يقوم به، لكن مع الصديق نتكلم عما نحن مزمعون أن نعمله، وهنا يعامل الرب إبراهيم كصديق فيقول "هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله" والسبب الذي لأجله يعامل الرب إبراهيم كصديق هام للغاية إذ يقول الرب "لأني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلاً". فالشخص الذي يعامله الرب كصديق ليس هو شخصاً مؤمناً فقط بل هو شخص يوصي أيضاً بيته ليعيشوا في مخافة الرب.

والرب يقول لنا "أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به" ويضيف "لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده لكني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" (يوحنا ١٥: ١٤ و ١٥).

وإذ تحدث الرب مع إبراهيم أخبره عما هو مزمع أن يوقعه من قضاء على مدن الدائرة. لكن لنتذكر أن هذا الحديث إنما جاء لرجل كان يعيش في حالة الانفصال عن العالم، وقد رفض العالم، بل وانتصر على العالم. ونحن إذا لم نهرب من نجاسات العالم لا بد أن نقول مع الشخص الذي له مجرد الاعتراف "أين هو موعد مجيئه؟" والرسول بطرس يحذرنا أن لا نجهل هذه الحقيقة الخطيرة أن يوم الرب سيأتي كلص في الليل، وفيه سيحل القضاء على عالم الفجار.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

رأينا في إصحاح سابق أن أهل سدوم كانوا أشراراً وخطاة لدى الرب جداً (تك ١٣: ١٣) وهنا نرى أن خطيتهم كانت تصرخ إلى الرب لأجل القضاء لأنها "قد عظمت جداً". لقد تأنى الرب طويلاً عليهم لكنه لم يكن غير مبال بخطيتهم. لقد كثر صراخهم حتى كملت خطيتهم للقضاء ومع كل ذلك فالرب كان بطيء الغضب في توقيع القضاء لأننا إذ نتتبع خطوات الرجال نقرأ أولاً "أنهم تطلعوا نحو سدوم" (ع ١٦) ثم "ذهبوا نحو سدوم" (ع ٢٢) وأخيراً نقرأ القول "فجاء الملاكان إلى سدوم مساء" (ص ١٩: ١).

الشفاعة (ع ٢٢ - ٣٣)

ذهب الملاكان لتوقيع قضاء الرب على المدن المقضي عليها، وظل إبراهيم واقفاً أمام الرب آخذاً مركز الشفيع، ولقد بنى شفاعته على أنه لا يمكن أن يهلك البار مع الأثيم، وعلى هذا الأساس أخذ يتشفع لدى الله أن يعفو عن المدينة إذا وجد فيها خمسون باراً، ثم طلب أن لا تهلك إذا وجد فيها خمس وأربعون، ثم أخذ ينقص العدد إلى أربعين وثلاثين وعشرين وأخيراً عشرة، وفي كل مرة كان الرب في نعمته يجيبه إلى طلبه إلى أن توقف إيمان إبراهيم عن إدراك غنى نعمة الله. النعمة التي نقرأ عنها "حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً".

ونختم بما نقرأه في نبوة ارميا عن أورشليم وهي تحت القضاء هذا القول "هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفح عنها؟" (أرميا ٥: ١) لكننا نعلم أن هذا الإنسان قد وجد – هو المسيح – هو الوسيط الواحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع. وبواسطة هذا الإنسان الواحد يُطلب أن تُقام طلبات وصلوات (أو التشفعات) لأجل جميع الناس (١ تي ٢: ١ - ٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

صداقة العالم

(تكوين ١٩)

رأينا في الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين البركات التي تلاحق المؤمن الذي مسلكه يتفق وإعلان الله لذاته كالله القدير.

ونرى في الإصحاح التاسع عشر نكبات المؤمن الذي تخلى عن طريق الانفصال واندمج مع أهل العالم. صحيح أننا سنرى هذا المؤمن خالصاً، ولكنه سيخلص كما بنار، وانتهت قصته بخروجه من العالم تاركاً وراءه قصة مخجلة مزرية.

مباينة هامة

إن المباينة بين إبراهيم ولوط تتضح إذا ما وضعنا جنباً إلى جنب أمام عيوننا العدد الأول من الإصحاح الثامن عشر مع العدد الأول من الإصحاح التاسع عشر ففي ص ١٨: ١ نرى إبراهيم جالساً "في باب الخيمة" بينما في ص ١٩: ١ نرى لوط جالساً "في باب سدوم"، الأول خارج العالم في وضع ينطق بطابع الغربة، والثاني لا يرى فقط في العالم، بل يرى أيضاً مساهماً في تصريف أموره جالساً في الباب، مكان الحكم والقضاء.

نهاية الطريق المنحدرة

في أول الطريق كان لوط في مركز الانفصال كإجابة لدعوة الله ولكنه كان سائراً مع شخص آخر. ثم إذ حدث اضطراب في جو العلاقة بينه وبين إبراهيم تخلى لوط عن طريق الإيمان والانفصال، واختار دائرة الأردن التي رأى أن جميعها سقي ونقل خيامه إلى "مقابل" سدوم (١٣: ١٢) ثم سكن في سدوم (١٤: ١٢) وأخيراً نقرأ أنه كان جالساً في باب سدوم (١٩: ١).

وسدوم التي وجد فيها لوط لنفسه مكاناً موقراً، ومركزاً محترماً كحاكم كانت مدينة مقضياً عليها، وها قد جاء يوم القضاء. ومن أقوال الرب المذكورة في إنجيل لوقا: نرى أن هذا المشهد المريع إن هو إلا ظل للدينونة المزمع صبها على هذا العالم الحاضر الشرير، إذ نقرأ (كما كان في أيام لوط .. هكذا يكون اليوم الذي فيه يظهر ابن الإنسان) (لوقا ١٧: ٢٨ - ٣٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

انطفاء الشهادة

ما هي الحالة التي كانت عليها سدوم والتي بسببها استوجبت قضاء الله؟ نجد شيئين اتصفت بهما هذه المدينة، فأولاً – كان أهلها أشراراً وخطاة لدى الرب جداً (١٣: ١٣). وثانياً – كان المؤمن الحقيقي الموجود فيها شاغلاً مركزاً مرموقاً، وهو في ارتباط مع الخطاة يحكم وينظم في العالم. إذن فهي مدينة اتصفت بارتباط من حسبوا لدى الرب أنهم خطاة مع من هم مؤمنين في الرب. وهذه هي الحالة المكروهة لدى الرب جداً والتي تميز عالم اليوم والتي ستسرع جداً بانتهاء تدبير النعمة الحاضر. إن ما ينهي يوم النعمة ليس هو ببساطة شر العالم. لأن شر العالم يظهر بأشكال مختلفة في كل زمان، والشر في أيامنا هذه ليس أعظم مما ارتكب عندما وصل إلى ذروته في صلب رب المجد. إنه انهيار المسيحية المعترفة حتى أن المؤمنين الحقيقيين الموجودين في العالم ليسوا شهوداً لنعمة الله بل صاروا في ارتباط وثيق بالعالم وهذا ما لا يطيقه الله إذ يستوجب انصباب القضاء. وعندما يترك المؤمنون في العالم ليصيروا شهوداً لنعمة الله ولكنهم يفشلون عندئذ لا تصبح النهاية بعيدة.

رسالة تحذير

نقرأ تحذيراً واضحاً للرسول بولس في كلمات واضحة لا تخطئ القول "لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين لأنه أية خلطة للبر والإثم وأية شركة للنور مع الظلمة وأي اتفاق للمسيح مع بليعال، وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن" (٢كو ٦: ١٤ و ١٥) لكن على الرغم من هذه الأقوال الصريحة، ماذا نرى حوالينا اليوم؟ إننا لا نرى فقط عالماً مملوءاً بالظلم والشر، لكننا نرى أيضاً مؤمنين حقيقيين يتصرفون ضد تعليم كلمة الله الصريح، نراهم في شركة مع الغير مؤمنين الذين يهزأون بأقوال الله!!

وعندما نجد أولئك الذين يقولون إنهم خدام المسيحية وقد كفوا أن يكونوا شهوداً للمسيح وانغمروا في العالم وهبطوا إلى مستواه وصاروا هم قادة عالميين، عندئذ لا يعود الملح يعطي ملوحته، وصارت دائرة الاعتراف المسيحي تسبب الضيق والغثيان للمسيح ويريد أن يتقيأها من فمه لإيقاع الدينونة على العالم. وبلا شك فإن خراب سدوم يتكلم إلى كل ضمير ويقودنا للإلتفات إلى تلك الكلمة التي تقول "اخرجوا منها يا شعبي لئلا تشتركوا في خطاياها ولئلا تأخذوا من ضرباتها" (رؤ ١٨: ٤).

خدمة الملائكة

هنا أيضاً دروس أخرى نتعلمها من القصة. رأينا في الإصحاح السابق أن الرب ظهر لإبراهيم ومعه ملاكان، أما هنا فنحن نرى الملاكين فقط ذاهبين إلى سدوم، ورأينا أيضاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إبراهيم في باب خيمته يتمتع بالشركة الحلوة مع الرب، بينما لوط الذي كان جالساً في باب سدوم لم يحظ بزيارة الرب له – صحيح إن نفسه كانت معذبة بأفعال أهل سدوم – لكن لم تكن له شركة مع الرب.

وأيضاً رأينا الرب يأتي لإبراهيم في حر النهار، بينما نرى الملاكين يأتيان إلى سدوم مساء. يأتيان لا ليقدما شهادة علنية لسدوم، بل جاءا سراً في المساء لينقذا مؤمناً مغلوباً من وسط نيران القضاء (١٨: ١، ١٩: ١).

ونتعلم من كلمة الله أن خدمة الملائكة لها هاتان الصفتان: الأولى – تنفيذ قضاء الله. والثانية – "هم أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (مز ١٠٤: ٤، عب ١: ١٤) ونرى هاتين الخدمتين في سدوم فجاءا ليهلكا المدينة، وليخلصا مؤمناً حقيقياً من وضع خاطئ. ومن المفيد أن نعرف أنه في يومنا هذا، على الرغم من توقع سقوط الدينونة على المسيحية المعترفة فإن المؤمن الحقيقي سيخلص من هذه الدينونة.
وهكذا مع الكثيرين فإنهم مثل لوط ستحترق أعمالهم وتضيع، أما هم فسيخلصون ولكن كما بنار (١ كو ٣: ١٥).

تضارب لوط

لوط وهو مؤمن حقيقي استطاع أن يميز الزائرين السماويين ويعاملهما بكل احترام، فيطلب أن يكرمهما ويقيهما من إهانات أهل العالم، لكنه يرى نفسه غير قادر على أن يضع حداً لشر أهلها حتى كاد أن ينزلق في عمل شرير بأن عرض ابنتيه لهم لتهدئة الحالة، لكن تصرفه هذا أهاج أهل سدوم أكثر. فقالوا له: "أبعد إلى هناك ثم قالوا جاء هذا الإنسان ليتغرب وهو يحكم حكماً" (١٩: ٩) وبكلمات التهديد هذه التي كانت تعذبه لم يستطع أن ينجو من ثورة الغوغاء لولا تدخل الملاكين اللذين أنقذاه من أيديهم.

فشل لوط

كانت توجيهات الملائكة للوط أن يحذر أقاربه، ويقول لهم إن الرب مزمع أن يهلك المدينة، هذه التوجيهات أظهرت هذه الحقيقة: أن المؤمن الذي يوجد في مركز لا يليق به، لا تكون له قوة للشهادة. نقرأ: فخرج لوط وكلم أصهاره محذراً إياهم من القضاء القادم "فكان كمازح" نعم كان يشهد للحق، لكن الحق دانه. ألم يكن باراً ومع ذلك انجذب إلى سدوم التي اختارها للسكن فيها واتخذ مكاناً بارزاً ومشهوراً فيها؟ هل كان لوط حقاً يصدق أن الرب مزمع أن يهلك المدينة؟ إن حياته كانت على نقيض شهادته فلا عجب إن ظهر في عيونهم كمازح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهل تعجب إذا كنا نرى أهل العالم لا يعيرون التفافاً للتحذيرات التي يتكلم بها البعض ممن هم خداماً للديانة المسيحية بل وقادة في الأمور العالمية أيضاً؟

تردد لوط

وبينما كان لوط يحذر الآخرين نراه هو متوانياً في ترك سدوم، لأنه لما طلب منه أن يخرج بسرعة من هذه المدينة المقضي عليها بالهلاك، نراه يتباطأ، لكن الرب لشفقته عليه أخرجه الملاكان ووضعاه خارج المدينة، وأخرجا معه امرأته وابنتيه، ولكن أملاكه ومقتنياته تركت للحريق فخلص كما بنار.

وإذ أنقذه الرب من مجرد رحمته طلب إليه أن يهرب إلى الجبل. لقد قبل الرحمة التي أنقذته لكنه كان قليل الإيمان بذاك الذي يعتني به ويقوده إلى الجبل فتحرك في خوف وتوسل طالباً عدم قلب صوغر المدينة الصغيرة لتكون له ملجأ وقد أجيب إلى طلبه. وإذ أشرقت الشمس دخل لوط إلى صوغر.

ما أروع هذه الكلمات "وإذ أشرقت الشمس" إنها تكلمنا عن يوم مشرق خال من أية علامة للقضاء الآتي. وكما قال الرب عن أهل سدوم في أيام لوط "كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون" كل شيء كان يسير بحالة طبيعية "ولكن في اليوم الذي فيه خرج لوط من سدوم أمطر ناراً وكبريتاً من السماء فأهلك الجميع" ثم يضيف الرب هذه الكلمات الخطيرة "هكذا يكون في اليوم الذي فيه يظهر ابن الإنسان"(لوقا ١٧: ٢٨ - ٣٠). وهكذا يكتب الرسول بولس "إن يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء. لأنه حينما يقولون سلام وأمان، حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى، فلا ينجون" (١ تس ٥: ٣٢).

امرأة لوط

نظرت امرأة لوط إلى الوراء. نعلم أن لوطاً شخصياً كان رجلاً باراً، وإن كان قد وقع في شراك العالم، أما امرأته فكان لها مجرد الاعتراف فقط فهي خرجت من المدينة لكن قلبها كان هناك – نظرت إلى المكان الذي كان يحتل عواطفها، وقد أصبحت عبرة لكل الأشخاص الذين لهم مجرد الاعتراف الذين إذ تعترضهم فترة خوف ينفصلون عن العالم لكنهم لا يعرفون شيئاً عن دعوة الرب، ما أخطر كلمات الرب "اذكروا امرأة لوط". (لوقا ١٧: ٣٢).

وبالمباينة مع لوط الذي خلص كما بنار، ومع زوجته التي نظرت إلى الوراء، نرى الرجل المنفصل الذي كان ينظر المدينة التي لها الأساسات، نراه في المكان الذي وقف فيه أمام الرب، فرأى عن بعد خراب مدن الدائرة. ثم نرى حقيقة هامة رائعة، وهي أنه إن كان لوط

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قد أنقذ من وسط الانقلاب فذلك يرجع إلى هذا السبب وهو "أن الله ذكر إبراهيم". ربما كان لوط وهو جالس في باب مدينة سدوم ينتقد عمه إبراهيم لانعزاله وابتعاده عن المجتمع. ربما قال ما فائدة إبراهيم للعالم وهو بعيد في خيمته؟ لكن لا ننسى أن الله قال لإبراهيم المنفصل "وتكون بركة" وهكذا كان. فنجاة لوط يرجع كل الفضل فيها لأن الله ذكر إبراهيم.

خوف لوط

مع أن لوط نجا من القضاء الذي وقع على سدوم، إلا أننا نرى هذا المسكين فريسة الخوف. فالمدينة التي اختارها كان خائفاً من السكن فيها، فصعد وسكن في الجبل الذي قيل له أولاً أن يهرب إليه، لكن حتى في هذه الحالة كان هروبه إلى الجبل خوفاً من الناس لا منقاداً بقوة الإيمان في الله، وهناك في المغارة عرض نفسه للتصرف الرديء – تصرف ابنتيه معه – وبهذه المأساة انتهى تاريخ لوط، وأسدل الستار على حياته، تاركاً وراءه نسلاً أصبح عدواً لدوداً دائماً لشعب الله.

يا له من تاريخ إذ نسلط نور حوادثه علينا يفحص قلوبنا – مؤمن كان يعيش وقتاً في حالة الانفصال، ثم تخلى عن هذه الحالة واختلط بأهل العالم، وهناك لم تكن له شركة مع الله، ولا قوة على وقف شر العالم المتزايد، بل ولا قوة للشهادة للحق، ولا ثقة في عناية الله الحافظة له. وأخيراً يخرج من العالم في خزي وعار.

يا ليت هذه القصة تقودنا للشعور العميق بضعفنا في ذواتنا، فنرتمي على الله القادر أن يحفظنا غير عاثرين، ويوقفنا أمام مجده بلا عيب في الابتهاج.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أعمال الجسد

تكوين ٢٠

رأينا في الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين إبراهيم واقفاً فوق الجبل، في ذات المكان الذي وقف فيه أمام الرب – خارج العالم – محفوظاً من ساعة التجربة التي جاءت على الساكنين في الأرض.

خطية قديمة تتكرر

وها نحن الآن في ص ٢٠ نراه مرة أخرى ينتقل إلى أرض الجنوب، ساكناً على حدود مصر، متخذاً مكاناً لم يكن من حقه أن يوجد فيه، وهناك تصرف مرة ثانية تصرفاً عرّضه للتوبيخ من رجل من أهل العالم.

لقد سقط إبراهيم بذات الكيفية التي سقط بها منذ عشرين سنة، وإن اختلفت الظروف قليلاً. ففي المرة الأولى انحدر إلى مصر بسبب الجوع الشديد الذي حدث في الأرض وهناك أنكر سارة، أما في المرة الثانية فلم تكن هناك ظروف تضطره إلى ذلك، فقط مجرد خوف من الناس جعله ينكر هذه التي وعد الله أنه منها يأتي النسل الذي وعد به (١٨: ١٠). في المرة الأولى تخلى عن الشهادة لأرض ميراثه، وفي المرة الثانية أحاط الشهادة للوارث بسحابة قاتمة. وهكذا نرى الآن أنه وراء كل فشل بين شعب الله، يهاجم العدو حقاً سامياً يرتبط بدعوة المؤمنين. وفي هذه الأيام يهاجم العدو بصفة خاصة الحق المتعلق بعلاقة الكنيسة برأسها الممجد في السماء.

وسقوط إبراهيم بعد سنين عديدة في ذات الخطأ جعل هذا الخطأ في المرة الثانية أكثر رداءة، فهو ليس مجرد خطأ في هذه المرة لمؤمن حديث في الطريق، بل هو خطأ رجل سار طويلاً مع الرب منفصلاً عن العالم.

ونتعلم هنا درساً آخر هاماً وهو أن الجسد في المؤمن لن يتغير، وما أبطأ قلوبنا في إدراك هذا الحق الخطير، الحق الذي يريد الرب منا أن نتحققه في نفوسنا، وإن كان ذلك عن طريق اختبارات مرة يجيزنا الرب فيها. لا شك أنه توجد النعمة التي تنقذنا من قوة الجسد، وتحفظنا من شره، ولكن لنتذكر دائماً أن هذا الجسد الشرير لن يتغير، والجسد يظهر نفسه بطرق مختلفة، لكن مهما كان شكل الشر الذي يظهر به، فهذا الشر كامن فيه من البداية إلى النهاية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وإذ يسجل الروح القدس خطأ رجل الله المتكرر، لا يقصد من ذلك أن يفشلنا أو يشغلنا بضعفنا، بل ليقودنا إلى النبع الحقيقي لكل قوة. قال واحد "أننا عندما نتعلم أننا غير قادرين أن نعمل شيئاً بدون الله، نرى الله معنا في كل لحظة." لكن من السهل علينا أن نقول أننا لا نستطيع أن نعمل شيئاً بدون الله، لكنه من الصعب أن نتعلم ذلك بكيفية عملية، وقد نتعلمه بسقوط يتكرر، وذلك ليكون لنا استناد على إلهنا لحظة بلحظة.

وعندما جعل إبراهيم الخوف من الإنسان موضوعاً أمامه فشل في إيمانه بالله، وإذ فشل في إيمانه تصرف بحكمة الجسد فقال عن سارة زوجته "هي أختي" كان هذا صدقاً على نوع ما، ولكنه قصد أنه يخفي الحقيقة، وهكذا عرض مرة أخرى بزوجته ليحفظ حياته من الموت.

الله يبقى أميناً

ومهما يكن من عظم فشل شعب الله، فإن الله لا يتخلى عن شعبه، فهو يطرح الدور الغالية لمجرد التصاق الغبار بها، لكنه يتعامل مع كل ما يراه فينا مخالفاً له، ولو كان ذلك بكيفية مؤلمة لنفوسنا، وذلك لكي نشترك في قداسته. وليس ذلك فقط بل يعمل أيضاً لأجل شعبه المسكين العاثر، لذا نراه في هذا الفصل يتداخل بكيفية ظاهرة لحفظ سارة من الخطر التي تعرضت له بسبب عدم أمانة إبراهيم، فحفظ أبيمالك من أن يأتي ضرراً بإبراهيم، وفي الوقت عينه حذره بقوله عن إبراهيم: "أنه نبي"، وأنه أي أبيمالك إذا لم يرد سارة إلى إبراهيم فإنه موتاً يموت وهو وكل ما له، كما أوضح له أن الرجل الذي أخطأ في حقه هو قريب من الله، ويستطيع أن يصلي من أجله. فعلى الرغم من فشل إبراهيم فإنه كان نبياً وشفيعاً لدى الله، ولم ينكر الله هذه الامتيازات السامية التي كانت لإبراهيم بسبب فشله.

توبيخ

لكن هذه الامتيازات التي كانت لإبراهيم في كونه نبياً وشفيعاً، جعلت من خطئه شراً مضاعفاً، وليس بعسير على العالم أن يدرك ذلك، لأننا نقرأ أن أبيمالك استدعى إبراهيم في الحال وناقشه فيما فعل وبعبارات صريحة قال له: "أعمالاً لا تعمل عملت بي" أي أنت عملت بي أعمالاً كان ينبغي أن لا تعمل. إبراهيم في الواقع لم يفشل في إيمانه بالله فقط، ولم يخطئ في حق زوجته فقط، بل أخطأ أيضاً إلى رجل من أهل العالم، فهو في هذه الحالة لم ينزل إلى ما دون دعوته بل إلى ما دون مستوى رجل من أهل العالم.

ويسأل أبيمالك إبراهيم عن السبب الذي لأجله فعل هذا، فيجيب إبراهيم قائلاً "إني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة فيقتلوني لأجل امرأتي". إلى أي حد نزل رجل الله؟ لقد حملته أفكاره للتفكير في سلامة نفسه وأمانه، فتصرفه إن دل على شيء فإنما يدل على أنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في تلك اللحظة لم يتصرف بخوف الله أمامه، وفي الوقت نفسه يتهم الآخرين بعدم مخافة الله.

عذر غير مقبول

وهكذا يحاول إبراهيم أن يبرر تصرفه، وبدلاً من أن يقول في صراحة وأمانة "أخطأت" يلتمس لنفسه عذراً فيقول: إن سارة هي أخته ابنة أبيه وأخفى الحقيقة أنها كانت زوجته أيضاً. حقاً ما أصعب على الخاطئ وعلى المؤمن أيضاً، أن يقول في صراحة "أخطأت".

أصل غير مقضي عليه

في الواقع إن هذا الخطأ له أصل قديم في تاريخ إبراهيم، لم يكن قد قضي عليه تماماً، ونراه هنا ينزل بالشهادة لدعوة الله إلى مستوى مهين فيقول: "وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي" وكان الأجدر به أن يقول: لما دعاني الله إلى وطن أفضل وإلى مدينة لها أساسات، ولكنه نزل بنفسه منزلة شخص تائه ضال، ونسب إلى الله أنه هو الذي أتاهه. في الواقع إبراهيم وزوجته أظهرا عدم الأمانة في علاقتهما الواحد بالآخر.

تصرف غير لائق

لكن بالرغم من فشل إبراهيم، نرى أبيمالك رجل العالم يتصرف تصرفاً يليق به. ونلاحظ أنه لما كان إبراهيم في حالة القوة، رفض أن يأخذ من ملك سدوم "لا خيطاً ولا شراك نعل" لكنه في ضعفه وعدم إيمانه قبل من ملك جرار غنماً وبقراً وعبيداً وإماء، وألفاً من الفضة، ثم اتجه أبيمالك إلى سارة موبخاً إياها بعبارات مذلة فقال لها: "إني قد أعطيت أخاك (ولم يقل لها أعطيت زوجك) ألفاً من الفضة. هاهو لك غطاء عين". لو كانت سارة غطت نفسها كما كان يليق بها كزوجة – كزوجة إبراهيم – ما كان رآها أبيمالك ولا أخذها إلى بيته (أو غيره) لأن الغطاء كان يدل على أن المرأة المغطاة هي لرجل.

ونحن المؤمنين إذا ما أظهرنا أنفسنا بكيفية عملية أننا للمسيح، ففي هذه الحالة لا يطلب العالم منا أن نكون في رفقته. قال الرسول بولس "لأن لي الحياة هي المسيح" وأيضاً "صلب العالم لي وأنا للعالم" وهكذا ينبغي أن نقول نحن كذلك ولكن إذا لم نكرس قلوبنا للمسيح نكون كسارة فنفقد احترام العالم لنا ونعرض أنفسنا لتوبيخاته اللاذعة.

أخيراً وقد كشف لإبراهيم سر فشله، نراه يأخذ مركزه اللائق به فيصلي إلى الله، والله يجيب صلاته، ويشفي أبيمالك والذين له (١٧ و ١٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولادة الوارث

تكوين ٢١

في إصحاحي ١٧ و ١٨ أظهر الله ذاته لإبراهيم كالله القدير، الذي يقدر أن ينفذ مقاصده على الرغم من ضعف الجسد، وشر العالم.

وفي إصحاح ١٩ أظهر الله شر العالم تماماً، وفي إصحاح ٢٠ أظهر شر الجسد تماماً وضعف شعب الله.

وإذ أظهر الله العالم والجسد كلاً على حقيقته في هذه الإصحاحات يجيء الإصحاح ٢١ معلناً أن الوقت المعين من الله لولادة الوارث الموعود به من زمن طويل قد جاء (ع ١ - ٧)، وتطرد الجارية وابنها (ع ٨ - ٢١) وأخيراً نرى العالم يعترف بأن الله مع رجل الإيمان (ع ٢٢ - ٣٤).

ولادة إسحق (ع ١ - ٥)

كل شيء من جانب الإنسان قد تحطم، ولم يعد ذا فائدة، وعندئذ جاء الوقت الذي تكلم الله عنه. وولد الوارث، ودعي اسمه إسحق أي "ضحك". هذا في الوقت المحدد ختن إسحق حسب أمر الرب، وهكذا تم كل شيء في "الوقت المعين" من الله وحسب كلمته.

وفي ولادة إسحق نرى رمزاً جميلاً لولادة المسيح الذي نقرأ عنه "ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه" (غل ٤ : ٤)، والمسيح هو ذلك الشخص المبارك الذي ستتحقق فيه كل البركات التي وعد بها إبراهيم، سواء أكانت لشعبه القديم إسرائيل أم للأمم.

تأثير ولادة إسحق (ع ٦ - ٩)

في الحادثتين اللتين تأتيان بعد ذلك نلاحظ التأثير الذي أحدثته ولادة الوارث. فمن ناحية نرى أولئك الذين فرحوا بولادته، ومن ناحية أخرى نرى أولئك الذين سخروا به، أفلا تستحضر لنا ما حدث فعلاً من تأثير مزدوج عند ولادة المسيح؟ قالت سارة "قد صنع إليّ الله ضحكاً كل من يسمع يضحك لي" (أو معي)، ونحن نذكر أنه في وقت مضى كان ضحكها تعبيراً عن عدم إيمانها، لكن الآن يجيء الضحك معبّراً عن فيضان قلبها بالفرح، وفضلاً عن ذلك فإن إيمانها صار يعترف ويقر بأن ولادة ابنها من قدرة الله وفوق أفكار الناس، لذلك تسأل متعجبة "من قال لإبراهيم سارة ترضع بنين؟"، طبعاً هذا شيء يستحيل على الطبيعة ولا يمكن لإنسان أن يقوله، لكن الله وحده هو الذي قال وهو وحده القدير الذي باستطاعته أن يتمم ما قال.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هكذا عندما صار مسيح الله جسداً وجد الذين اتفقوا مع السماء واعترفوا بتدخل الله، وفرحوا بولادة الوارث الموعود به من زمن طويل، فابتهجت مريم بفرح قائلة: "لأن القدير صنع بي عظائم"، كذلك زكريا رأى في ولادة المسيح أن الرب افتقد شعبه "ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عهده المقدس القسم الذي حلف لإبراهيم أبينا" هؤلاء وغيرهم فرحوا مع جميع المتظرين فداء في أورشليم" (لو ١: ٤٩، ٦٨ - ٧٣).

لكن إلى جانب الذين فرحوا بولادة إسحق، وجد الذين هزأوا به، وما كان ذلك إلا تعبيراً لما في قلوبهم من عداوة، ولما جاء يوم صنعت فيه "وليمة عظيمة" تكريماً للوارث أهاج هذا التكريم حسد وعداوة الذين كانوا يشغلون مركزاً في بيت إبراهيم.

وهذا أيضاً عين ما حدث في أيام ربنا على الأرض، فإن مكانته السامية والفريدة التي اتخذها وتمجيده أثارت حسد وعداوة النظام الديني الجسدي، فبينما نرى أنه قد جاء رجال من المشرق ليسجدوا له، نرى أورشليم كلها قد اضطربت وطلب هيرودس الملك المزيف أن يقتل الصبي القدوس.

درس لنا (ع ١٠)

يوجد لنا درس آخر في هذا المشهد العميق، ففي الرسالة إلى غلاطية اقتبس الرسول بولس الكلمات التي نطقت بها سارة لإبراهيم عندما قالت له: "أطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق"، وفي هذه الكلمات لا يتخذ الرسول من إسحق رمزاً للمسيح بل يتخذه كرمز للمؤمنين الذين هم غرض النعمة الغنية فيقول "وأما نحن أيها الأخوة فنظير إسحق أولاد الموعد". وهكذا إذ يتخذ إسحق صورة لنا كأناس مولودين من الروح فإنه يتخذ الابن الأول (إسماعيل) صورة لإنساننا العتيق، أي لجميعنا ونحن مولودين حسب الجسد. ثم يبين الرسول أيضاً أن المولود حسب الجسد هو في عداوة تامة ومستمرة مع المولود من الروح فيقول "ولكن كما كان حينئذ الذي ولد حسب الجسد يضطهد الذي حسب الروح هكذا الآن أيضاً" (غل ٤: ٢٨ - ٣١).

صفة الجسد الحقيقية (١١ و ١٢)

وكما أن المسيح بمجيئه إلى العالم كشف عن ما هو الإنسان حسب الجسد وأيقظ عداوة الجسد، هكذا نرى في تاريخ نفوسنا أنه كلما كان المسيح محتلاً في عواطفنا كلما اكتشفنا الصفة الحقيقية للجسد الذي لا يزال بين جنبينا. فإن أعطينا المسيح تمتعه ومكانه اللائق به في قلوبنا نكتشف أكثر وجود الإنسان العتيق الذي فينا والذي يسعى أن يتدخل لتعظيم الذات دائماً. ويبقى السؤال الهام هل علي أن أشفق على الجسد بإشباع ميوله وتعظيم ذاتي، أم أرفض الجسد فيكون للمسيح مركزه اللائق به في حياتي؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لقد كان المؤمنون في كورنثوس يشبعون الجسد بكيفية عالمية، بينما كان المؤمنون في كولوسي معرضين لإشباع الجسد بفرائض وطقوس دينية، كما كانت كنائس غلاطية تفسح المجال للجسد عن طريق الناموس، إذ وضع المؤمنون أنفسهم تحت الناموس واتخذوه قانوناً لحياتهم، ولكنه لم ينشئ فيهم حياة مثمرة كحياة المسيح بل أظهر الحالة الجسدية بكل مجدها الباطل فوجد الحسد والخصام، لذلك يذكرهم الرسول بالقول "أطرد الجارية وابنها". نعم يجب أن نرفض الناموس كقانون لحياتنا، ونرفض الجسد الذي يهيجه الناموس. لقد حررنا المسيح من الناموس كوسيلة للحصول على البركة. ولهذا علينا أن نثبت في الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ناظرين إلى المسيح ليحفظنا لحظة بلحظة. هذا كان حقاً اختبار الرسول بولس الذي إذ كان المسيح محتلاً كل عواطف قلبه استطاع أن يقول "لي الحياة هي المسيح". وكانت النتيجة أنه رفض بر ذاته الذي كان حسب الناموس، ولم تكن له ثقة في الجسد (في ١: ٢١، ٣: ٣) لقد طرد الجارية وابنها.

ولكي ما نرفض الجسد يتحتم علينا أن ننكر ذواتنا، وهذا يتطلب منا التألم. إن طرد الجارية وابنها كان مؤلماً لإبراهيم إذ نقرأ "فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم" لكن الرب ذكره بأن البركات جميعها مرتبطة بإسحق. إن إنكار الذات لإتباع المسيح يتطلب الصليب، أو بالحري التألم، وهذا يقودنا حتماً إلى بركة عظمى في ارتباطنا بالمسيح.

صورة إسرائيل

إن هاجر وإسماعيل في تيهانهما في البرية وقد فرغ منهما الماء ترينا صورة رمزية لمركز إسرائيل الحاضر. وهي تسعى للحصول على البركة تحت الناموس ولذلك رفضت المسيح النسل الموعود به. وهكذا نرى شعب الله الأرضي مطروداً من أرضه وتائهاً في العالم. ومع أنه بعيد عن أرضه فإنه لا يزال موضوع عناية الله التدبيرية كما كانت هاجر وابنها محفوظة بعنايته.

شهادة العالم (ع ٢٢ - ٢٤)

آخر مشهد في هذا الإصحاح نرى فيها رجل العالم يعترف بأن الله مع رجل الإيمان السائر بالانفصال عن العالم. صحيح إنه في وقت كان رجل الإيمان هذا قد انزلقت قدمه وتصرف في عدم إيمان وتوبخ من أبيمالك لكن الآن جاء الوارث وأعطى له إبراهيم مكانه اللائق به. والجارية وابنها طردوا واعترف لله بمطالبيه وسيادته فرفض كل ما هو من الجسد، عندئذ اعترف أبيمالك لإبراهيم "الله معك في كل ما أنت صانع". ولكن لا يتوبخ من إبراهيم، وألا ينبغي أن يكون الحال معنا نحن الآن؟ نعم إذا كان للمسيح مكانه الصحيح في قلوبنا ورفضنا الجسد، وسلكنا بالانفصال عن العالم تكون النتيجة أن العالم يرى ويعترف أن الله معنا.

 All rights reserved © 2008-2018

الصفة الحقيقية للعالم (ع ٢٥ - ٣٤)

نلاحظ أنه على الرغم من اعتراف العالم بأن الله مع شعبه الذي يسلك بالانفصال عنه، فإنه يحاول أن يحرم شعب الله من وسائل الإنعاش الروحية التي لهم، فيحاول أن يحرمنا من الآبار التي لنا، وواجبنا في هذه الحالة أن نفعل كما فعل إبراهيم، فنقاوم كل محاولات العدو ونوبخ العالم، لكن يجب أن تقترن توبيخاتنا بروح النعمة التي تسعى أن تمنح العالم شيئاً من هذه البركات كما فعل إبراهيم، وكما يفهم من السبع نعاج التي قدمها إبراهيم لأبيمالك.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تقديم إسحق

تكوين ٢٢

رأينا في الجزء الأول من حياة إبراهيم شهادته العلنية كرجل الإيمان، المنفصل عن العالم، إجابة لدعوة الله (الإصحاحات ١٢ - ١٤) وفي الجزء الثاني من تاريخه، وهو الجزء الذي يبدأ بهذه العبارة: "بعد هذه الأمور" رأينا تدريباته الداخلية التي تجتازها نفسه في علاقته الشخصية مع الله (الإصحاحات ١٥ - ٢١).

آخر جزء في حياة إبراهيم

وفي الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين نأتي إلى الجزء الأخير من حياة إبراهيم، وهذا الجزء بدأ أيضاً بهذه العبارة "بعد هذه الأمور" لأننا في هذا الإصحاح والإصحاحات التالية، نقرأ عن حوادث بالتحديد هي في الواقع صور لطرق الله في تنفيذ مقاصده التي تهدف إلى مجد المسيح وبركة الإنسان.

لقد رأينا في إصحاح ٢١ عند ولادة إسحق ما قيل "في الوقت (المحدد) الذي تكلم الله عنه" وأنه ظل للقول "ولما جاء ملء الزمن أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة" (غل ٤: ٤) وسنرى في إصحاح ٢٢ موضوع تأملنا الآن رمزاً لموت وقيامة المسيح حمل الله. كما سنرى في إصحاح ٢٣ موت ودفن سارة، وفيه رمزاً لوضع العروس الأرضية جانباً لرفضها المسيح، هذا وسنرى في إصحاح ٢٤ دعوة الكنيسة، العروس السماوية، مرموزاً لها برفقة.

وإلى جانب الفائدة التي تجتنيها نفوسنا، ونحن نتأمل هذه الجوانب الرمزية فلا يجب أن نتجاهل المعاني الأدبية الرائعة، فإن كان هذا الإصحاح الثاني والعشرين يستحضر لنا محبة الله العجيبة في بذل ابنه، فمن جانب آخر يرينا بطريق أدبية مؤثرة أيضاً إيمان إبراهيم بالله.

الامتحان الفائق الوصف

والتعليم الأدبي نراه في مستهل هذا الإصحاح "وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم" وإذا تأملنا في الإصحاح الحادي عشر من الرسالة إلى العبرانيين هذا الإصحاح العظيم الذي يستحضر أمامنا الكثيرين ممن سلكوا طريق الإيمان، نرى أن إبراهيم يحتل مكاناً بارزاً بينهم. فهو لا يستحضر كمن تجاوب بالإيمان فحسب لدعوة الله فأطاع، ولكنه أيضاً صار له الامتياز الفائق بأن يجتاز امتحان الإيمان بكيفية لم تكن لواحد قبله أو ما بعد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ذلك، نقرأ أن الله قال لإبراهيم "خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق، واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة". وفي تعليق الوحي في الرسالة إلى العبرانيين نقرأ "بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مجرب". إسحق الذي تركزت فيه كل المواعيد، والذي قيل له "إنه إسحق يدعى لك نسل"، إن ما طلب منه بحسب الظاهر، وبحكم الطبيعة يرى – هذا العمل – حائلاً دون إتمام مواعيد الله، لكن إبراهيم عمل لا بمقتضى ما يمليه العقل أو الطبيعة بل "بالإيمان ... إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً الذين منهم أخذه أيضاً في مثال".

عمل الطاعة

لما أخذ الله من أيوب أولاده، خضع أيوب لما سمح الله به وقال "الرب أعطى والرب أخذ". ولكن تجربة إبراهيم كانت أشد، وكانت على مستوى أعلى كثيراً، فهو لم يطلب منه ببساطة أن يخضع بطريقة سلبية لمشيئة الله، بل طلب منه أن يعمل عملاً مخالفاً كل المخالفة للطبيعة، وبما يؤلم ويسحق قلب الأب، وبعيداً عن توجيهات الله التي كانت قبلاً وفي مخالفة لكل نواميس الله والإنسان، لكن إبراهيم بما منحه الله للإيمان أطاع في هذا الامتحان، وفي هدوء تام، قام في الصباح الباكر وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحق ابنه "وذهب إلى الموضع الذي قال له الله".

ولمدة ثلاثة أيام ظل سائراً في طريقه، وكانت هذه المدة فرصة كافية لاستيعاب ما سيفعله، وكانت هذه التجربة القاسية ولا شك تحصر نفسه في هذه الأيام الثلاثة. وكم كان يستشعر في نفسه غصة الآلام لتقديم ابنه. لم يكن عملاً يتطلب السرعة تحت إلحاحات مفاجئة وطارئة ولكن كان هناك وقت للتفكير في كلفة هذا العمل. فمحبته لابنه، ومشاعر إسحق ومحبته لأبيه، ووعد الله له أنه بإسحق يدعى له نسل، كل هذه ترددت أمامه، لكنه بالإيمان انتصر على كل اعتبار.

لو أن عدم الإيمان ساور إبراهيم لكانت هناك فرصة للرجوع، ولكن الإيمان ظل راسخاً، وفي اليوم الثالث لاح المكان أمام عينيه "فقال إبراهيم لغلاميه اجلسا أنتما ههنا مع الحمار، أما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما"، الإيمان يحسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات، ولذلك قال إبراهيم وهو في كامل الثقة "ثم نرجع".

ونحن لا يمكن أن نتعرض لمثل تجربة إبراهيم، ولكن كم هو جميل، أنه عندما يؤخذ منا أحد أحبائنا نقول ونحن في كامل الثقة "إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه" إن الإيمان يعرف أنهم أخذوا منا إلى حين، وقد ذهبوا ليسجدوا ولكنهم سيرجعوا مرة أخرى.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أب وابن

سأل إسحق "أين الخروف للمحرقة؟" ويجيبه إبراهيم في إيمان قائلاً "الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني" ودون أن يتفوه بكلمة "ذهبا كلاهما معاً"، وبدون مقاومة أو شكوى قبل إسحق أن يربط ويوضع على المذبح "ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه".

وهنا تدخل ملاك الرب ومنع يد إبراهيم حتى لا يغرس السكين في ابنه، وهكذا إذ ظهرت طاعة إبراهيم الكاملة وإيمانه بالله في هذه التجربة، قال له الله "الآن علمت أنك خائف الله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني" وإذ عمل محصوراً بخوف الله، انتصر على الخوف من الناس في عمل يدينه عليه الناس.

أب آخر – ابن آخر

ونحن إذ نتأمل هذا المشهد من ناحيته الرمزية، ترتسم أمامنا عظمة محبة الله التي تجلت في بذل ابنه ليموت لأجلنا. لقد قال الله لإبراهيم "خذ ابنك" وهكذا نقرأ عن الله أنه "لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين" (رومية ٨: ٣٢) وأيضاً قيل لإبراهيم "خذ ابنك وحيدك" ويؤكد لنا الفصل الذي أمامنا ثلاث مرات أن إسحق هو ابنه الوحيد (٢، ١٢، ١٦) وفي هذا أيضاً تعبير عن محبة الله الذي "بذل ابنه الوحيد" (يوحنا ٣: ١٦). وأخيراً يقول الله لإبراهيم. إن هذا الابن الوحيد الذي سيقدمه هو موضوع محبته "خذ ابنك وحيدك الذي تحبه". وهذا يذكرنا بمحبة الآب لابنه في القول "الآب يحب الابن" (يوحنا ٣: ٣٥) وفي هذا الإصحاح الذي أمامنا نقرأ لأول مرة في الكتاب عن المحبة، ولا عجب في ذلك فالمشهد يكلمنا عن محبة الله الآب لابنه الوحيد الحبيب.

طاعة كاملة

فإن كان المشهد يستحضر أمامنا محبة الله في بذل ابنه، يستحضر أمامنا أيضاً طاعة الابن الكاملة، الطاعة التي بلا شكوى لإرادة الآب، وفي كل هذا نرى ظلاً لامعاً لطاعة المسيح الكاملة المطلقة لأبيه، التي قادته أن يقول أمام شبح الموت "لتكن لا إرادتي بل إرادتك" (لوقا ٢٢: ٤٢).

هذا وفي أثناء المسير ثلاثة أيام رأينا أيضاً أنه في الوقت الذي كان فيه حطب المحرقة موضوعاً على إسحق كانت النار والسكين في يد إبراهيم، وطيلة أيام خدمة ربنا يسوع المسيح، كان يعلم يقيناً موته الآتي. ففي كل خطوة كان ظل الصليب مائلاً أمامه، فقد

 All rights reserved © 2008-2018

تتعجب الجموع "من كل ما فعل يسوع"، لكنه هو تبارك اسمه كان يعلم أن ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الناس (لوقا ٩: ٤٤) والتلاميذ إذ كانوا يتبعونه إلى أورشليم متطلعين إلى الملكوت الذي سيتأسس بالقوة، كان يلوح أمام عيونهم جلوس المسيح على عرش مجده للحكم، بينما كان هو يعلم أنه إنما إلى عار الصليب يسير.

هذا ومع أنه قد سمح للناس أن يصلبوا الرب إلا أن النار والسكين أو بالحري الدينونة والموت كانا في يد الله. لقد ظن البعض أنه في قدرتهم أن يصلبوا أو يطلقوا الرب حسبما يشاءون، لكن الرب يقول لبيلاطس "لم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق" (يوحنا ١٩: ١١) وما كان لعين بشرية أن تخترق ظلام مشهد الصليب العجيب لترى النار والسكين تعملان عملهما في الابن الحبيب، لأن الكل كان من يد الله، ولهذا استطاع المسيح أن يقول "وضعتني في الجب الأسفل في ظلمات، في أعماق. علي استقر غضبك وبكل تياراتك ذللتني" (مز ٨٨: ٦ و ٧).

شركة كاملة

ثم جاءت اللحظة التي فيها ترك الغلامان في مكان، وتقدم إبراهيم وابنه ليصعدا وحدهما إلى الجبل، وهذا يكلمنا عن المشهد العظيم الذي تكلم عنه الرب في قوله لبطرس "حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعني" (يوحنا ١٣: ٣٦) وأيضاً قوله "والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي" (يوحنا ٨: ٢٩). ونحن نقرأ عن إبراهيم وإسحق مرتين هذه العبارة "فذهبا كلاهما معاً" (عددي ٦، ٨). ولاشك أن هذه العبارة تكلمنا عن الشركة التامة بين الآب والابن والتي نراها واضحة كل الوضوح في إنجيل يوحنا عندما تقدم الرب ليمضي إلى الصليب ليصير محرقة يتمجد الله بها. ولقد قال الرب في هذا الإنجيل "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" وأيضاً "لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني" وأخيراً قوله "لأني في كل حين أفعل ما يرضيه" و"أنا والآب واحد" (يوحنا ٥: ١٧ و ٣٠، ٨: ٢٩، ١٠: ٣٠).

خضوع كامل

وإذ أتيا إلى الموضع كان إسحق في خضوع كامل لأبيه، لقد بنى إبراهيم المذبح، ورتب الحطب، وربط إسحق ابنه، ووضعه على المذبح، ومد يده وأخذ السكين ليذبح ابنه، وعن المسيح نقرأ "لم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح. وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه ... أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن" (أشعيا ٥٣: ٧ - ١٠).

مقارنة ومباينة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من المهم أن نلاحظ أنه في كل ذبائح العهد القديم كانت الذبيحة تذبح أولاً ثم توضع بعد ذلك على المذبح، لكن هنا ترى التقدمة أكثر ملاءمة لذبيحة المسيح إذ ربط إسحق أولاً بالمذبح قبل أن تؤخذ السكين لذبحه.

وفي الواقع كل رمز يجيء دون الحقيقة بكثير، ففي الرمز الذي أمامنا يتداخل ملاك الرب فيمنع اليد التي أمسكت بالسكين، وأشفق على إسحق. أما الصليب فلم تتداخل يد لمنع قوة الموت: محبة الآب لم تشفق على الابن، ومحبة الابن خضعت لمشيئة الآب حتى الموت. لقد جاء ملاك في البستان ليقويه لكن لم يكن هناك ملاك يحول بينه وبين موت الصليب.

وبكيفية رمزية أخذ إبراهيم إسحق من الموت، أخذه في مثال (عب ١١: ١٩) لكن وإن كان إسحق أطلق حراً، فإن الموت لابد أن يقع على الكبش الممسك في الغابة، وفي هذا الكبش نرى رمزاً آخر لحمل الله الذي أعد. لقد نطق إبراهيم بعبارتين نبويتين الأولى: "الله يري له الخروف للمحرقة يا ابني"، والثانية: "في جبل الرب يرى" وهذا يذكرنا بالقول الذي قاله الرب "إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح" (يوحنا ٨: ٥٦).

أخيراً يجدد الله مواعيده لإبراهيم على أساس الذبيحة ويثبت وعد البركة لكل الأمم بواسطة النسل المقام. ومن الرسالة إلى غلاطية نفهم أن هذا النسل هو المسيح كما يقول الرسول: "وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله. لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد، وفي نسلك الذي هو المسيح" (غل ٣: ١٦).

أما سلسلة المواليد التي ختم بها هذا الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين، فليس من شك عندي أن المقصود منها إبراز رفقة التي تشير إلى عروس المسيح السماوية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

موت سارة

(تكوين ٢٣)

في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين نقرأ عن موت سارة ودفنها، وهنا كما في حوادث أخرى في العهد القديم، نرى إشارات رمزية ومعاني أدبية، وذلك في نور العهد الجديد.

رمز

ففي الرسالة إلى أهل غلاطية يوضح لنا الرسول بولس المعنى الرمزي المستخلص من هاجر وسارة. ففي هاجر وابنها يرينا الناموس والذين يسعون للحصول على البركة تحت الناموس، بينما في سارة وأولادها يرينا مواعيد الله الغير المقيدة بشرط، والذين يتباركون بها مجرد النعمة المطلقة (غل ٤: ٢١ - ٢٦). لقد وضع الشعب نفسه تحت الناموس، وسعوا للحصول على البركة على أساس أعمالهم، وكانت النتيجة أنهم لم يظهروا غير شر قلوبهم فرفضوا المسيح الذي جاء إليهم بالنعمة، والذي بواسطته كان يمكنهم أن يحصلوا على البركة المتضمنة في المواعيد التي أعطيت لإبراهيم. ونرى بطرس الرسول أيضاً يخاطب الأمة بعد موت المسيح وقيامته، وأمكنه أن يقول لهم "أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذي عاهد به الله آباءنا قائلاً لإبراهيم" وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض. إليكم أولاً إذ أقام الله فتاه يسوع أرسله يبارككم برد كل واحد منكم عن شروره" (أع ٣: ٢٥ و ٢٦)، لكن حتى هذه البركة المقدمة من مجرد النعمة قوبلت بالرفض من الأمة. ونتيجة لذلك وضع هذا الشعب القديم حتى الوقت الحاضر جانباً.

عروس المسيح الأرضية

ونلاحظ أيضاً أن موت سارة جاء عقب تقديم إسحق، وفي هذا ما يمكننا أن نراه في وضع الشعب جانباً الذي جاء عقب رفضهم النعمة المقدمة لهم على أساس موت المسيح وقيامته. إذن سارة هي رمز لعروس المسيح الأرضية التي غابت من المشهد لتفسح المجال لظهور رفقة التي هي رمز للعروس السماوية.

بيان واضح

والآن وقد صار واضحاً ما هو المعنى الرمزي لموت ودفن سارة، بقي أن نتأمل المعنى الأدبي لهذه الحوادث والتي تتضح لنا من الرسالة إلى العبرانيين، والتي نتعلم منها أن قديسي العهد القديم المشار إليهم في الإصحاح الحادي عشر لم يعيشوا فقط في الإيمان، بل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أنهم ماتوا أيضاً في الإيمان، ويسجل لهم الروح القدس هذه الشهادة "في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد. بل من يعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض. فإن الذين يقولون مثل هذا يظهرون أنهم يطلبون وطناً" (عب ١١: ١٣ و ١٤).

وهنا نرى إيمان إبراهيم أمام مشهد الموت فيعترف أنه ليس سوى غريب ونزيل، وبتصرفه هذا يظهر بكل وضوح صفة الغربة أمام أهل العالم.

توقع الإيمان

لقد آمن إبراهيم بكلمة الرب عندما وعده بإسحق ولم يعتبر جسده وهو قد صار مماتاً، وبالإيمان قدم إسحق ابنه بحسب كلمة الرب له، إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات، والآن بذات الإيمان عينه يدفن سارة على الرجاء المؤكد للقيامة. فالإيمان الذي أصعده إلى جبل المريا ليقدم إسحق ابنه، هو بعينه الإيمان الذي نظر به إلى مغارة المكفيلة ليدفن فيها زوجته. لقد جاء الوقت الذي فيه يدفن إبراهيم ميته من أمامه، وهو بالإيمان يعرف أن عزيزه سيقوم ثانية وستشترك في هذا النصيب الأفضل والسماوي، المدينة التي يتطلع لها الإيمان.

إله القيامة

لقد أظهر الله ذاته لإبراهيم كالقدير، وكإله القيامة، كما أكد له أن الأرض التي هو فيها كغريب ونزيل قد أعطيت له ملكاً أبدياً له وكل الأرض أعطيت له بالإيمان مع أنه لم يمتلكها بعد (١٧: ٨)، وبمقتضى إيمانه بوعد الله اهتم بدفن جسد سارة في تلك الأرض التي وعد بها. ففي "أرض كنعان" عاشت سارة مع إبراهيم كغريبة ونزيلة "وفي أرض كنعان" ماتت، وفيها دفنت (عدد ٢ و ١٩) وبهذا الإيمان عينه نقرأ بعد ذلك أن ابني إسحق دفنا أباهما في حبرون في أرض كنعان (تك ٣٥: ٢٧ - ٢٩). وأيضاً في وقت لاحق يعقوب الذي مات في مصر نقرأ أن بنيه دفنوه في أرض كنعان في مغارة حقل المكفيلة في الأرض ذاتها (تك ٥٠: ١٣). كذلك يوسف لما دنت ساعة موته تجلى هذا الإيمان فيه، فأوصى إخوته من جهة عظامه أن يحملوها معهم من مصر إلى كنعان (تك ٥٠: ٢٥ و ٢٦، خر ١٣: ١٩).

حزن طبيعي

إن كنا قد رأينا مختاري الله في نماذج لامعة في مشهد الموت، فإننا نتعلم في الوقت ذاته أن الإيمان لا يضع العواطف البشرية جانباً، لذلك نقرأ القول "فأتى إبراهيم ليندب سارة ويبكي عليها" (عدد ٢)، نحن نعلم ونوقن بالإيمان أن أحباءنا الذين رقدوا في الرب سيقومون،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأن الموت لهم هو ربح، لكننا في الوقت عينه نحن نحزن عليهم ونشعر بخسارتنا لهم. إن رجاءنا بالقيامة رجاء مؤكد ويقيني ويعلن لنا – كما يذكر لنا الرسول بولس – أن حزننا ليس كحزن أولئك الذين لا رجاء لهم. وليس هناك كلمة تقول إننا لا نحزن أو لا نبكي، وهل كان هناك من يعلم بقوة القيامة أكثر من ذاك الذي قال: أنا هو القيامة والحياة؟ ومع كل ذلك بكى عند قبر لعازر.

وعد قد تم

ونرى أيضاً إبراهيم أمام مشهد الموت يتصرف كما يليق به كغريب ونزيل فيعترف أمام بني حث قائلاً "أنا غريب ونزيل عندكم" وبهذا القول كسب احترامهم له فقالوا "أنت رئيس من الله بيننا" (عدد ٦)، ما أكبر الفرق بين إبراهيم ولوط – لوط المسكين الذي ضحى بصفته كغريب ليسكن في سدوم – لقد أهانه أهل سدوم إذ قالوا له في وقت ما: "أبعد إلى هناك ثم قالوا جاء هذا الإنسان ليغترب وهو يحكم حكماً" (١٩: ٩).

منذ ستين سنة قال الله لإبراهيم إنه نتيجة لاستجابته لدعوة الله واتخاذه مركز الغريب والنزيل سيحظى بهذا الامتياز أن الله يعظم اسمه (تك ١٢: ٢) وقد تم له هذا الوعد إذ اعترف له أهل العالم بهذا التعظيم إذ قالوا له "أنت رئيس من الله بيننا" أما لوط المسكين الذي سعى لكي يكون عظيماً في العالم كحاكم في الباب قال له أهل سدوم "ابعد إلى هناك" فكان محتقراً في أعينهم.

فكر متواضع

ونرى أن إبراهيم لم يتخذ من احترام العالم له فرصة لتعظيم نفسه، فلم يتكلم عن دعوة الله له، والأمجاد التي تنتظره، أوليس هذا ما حدث مع الرب لما أراد الناس أن يتوجوه ملكاً؟ ماذا فعل؟ انصرف عنهم ومضى إلى الجبل وحده (يوحنا ٦: ١٥) هكذا تصرف إبراهيم فرفض أن يعظم نفسه ولم يشأ أن الآخرين ينحنون أمامه كرئيس بل تجلى فيه الروح المتواضع إذ نقرأ مرتين أن إبراهيم "سجد لشعب الأرض" (عددي ٧ و١٢).

تصرف بار

أراد العالم بشفقته أن يؤثر على إبراهيم فيأخذ مكاناً ليدفن فيه ميته بصفة هدية، لكن إذ كان إبراهيم مخلصاً لمركزه كغريب رفض أن يكون رئيساً بين أهل العالم ولم يقبل هداياهم مكتفياً بمركزه كغريب يدفع ثمناً لكل حاجاته. نعم لقد رفض مديح الناس ولم يقبل شفقة الناس ولم يتزحزح عن طريق الإيمان، وكما رفض من قبل عطايا ملك سدوم هكذا لم يقبل هدايا بني حث فدفع ثمن المكان وهكذا تصرف كإنسان غريب، وأظهر البر في تصرفه إذ دفع "أربعمائة شاقل فضة جائزة عند التجار".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في كل هذه التصرفات نرى إبراهيم في يومه واحداً من الذين يدعون الرب من قلب نقي وقد اتبع البر والإيمان والمحبة والسلام.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

دعوة رفقة

تكوين ٢٤

رأينا في تقديم إسحق في إصحاح ٢٢ رمزاً بديعاً لموت وقيامة المسيح، كما رأينا في موت سارة ودفنها في إصحاح ٢٣ إشارة إلى وضع إسرائيل شعب الله الأرضي جانباً الأمر الذي تم بعد رفضهم للمسيح مباشرة، ونرى الآن في هذا الإصحاح صورة جميلة لدعوة الكنيسة خلال تلك الفترة.

ثلاث حقائق عظيمة

نحن نعلم أنه بعد ما مات المسيح وقام صعد إلى المجد آخذاً مكانه عن يمين الله، وتبع ذلك هذا الحدث العظيم إذ جاء الروح القدس الأقنوم الإلهي ليمكث مع المؤمنين ويسكن فيهم هنا على الأرض، ومن هنا تتضح لنا ثلاث حقائق عظيمة يتميز بها الوقت الحاضر وهي: أولاً – وجود إنسان في المجد هو المسيح يسوع. ثانياً – وجود أقنوم إلهي على الأرض هو الروح القدس. ثالثاً – غرض الروح القدس من مجيئه لتكوين الكنيسة وقيادتها في العالم حتى يجيء بها إلى المسيح الممجد.

مشهد رائع

هذه الحقائق الهامة تستعرض أمامنا بكيفية رمزية في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين، وترتكز أهمية هذا الإصحاح على ما يقدمه لنا من عمل كل أقنوم من الأقانيم الإلهية الثلاثة في الوقت الحاضر. نحن إذا نظرنا حوالينا نرى شر العالم المتزايد، كما نرى فشل المؤمنين وضعفهم، وعندما نتطلع إلى هذا التشويش الرهيب فإنها تسبب لنا الحزن والأسى، ولكن إذ ننظر إلى الصورة التي أمامنا في هذا الإصحاح نرى بكيفية عجيبة، أن الله ماض في تنفيذ مقاصده الخاصة. توجد فصول كتابية أخرى تستعرض أمامنا إيمان بعض رجال الله لتشجيعنا، كما توجد فصول أخرى تكلمنا عن فشلهم أيضاً وذلك لتحذيرنا، لكن في هذا الإصحاح الذي أمامنا نرى لبركتنا ما يعمله الله لمجد المسيح على الرغم مما يرى فينا أو العالم بل وعلى الرغم من محاولات العدو الكثيرة. وإذ نرى عمل الله، والغرض الذي يعمل لأجله، وإنه لابد أن يتمم كل ما قصده، عند ذلك تحفظ نفوسنا في حالة الهدوء، في وسط كل الاضطرابات التي تحيط بنا، بل نُرَى فاهمين فكر الله، وهذا كفيل بأن يخلصنا من كل يأس وكل فشل نتعرض له، بل أكثر من ذلك يخلصنا من بذل جهودنا في أنشطة كثيرة لفائدة العالم ولكنها خارج دائرة مقاصد الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفي هذه القصة التي أمامنا نرى ثلاثة موضوعات رئيسية: أولاً – توجيهات إبراهيم لعبده (ع ١ - ٩). ثانياً – مهمة العبد في أرام النهرين (ع ١٠ - ٦١). ثالثاً – ملاقاة إسحق ورفقة في أرض كنعان (ع ٦٢ - ٦٧).

قصد الآب

إن توجيهات إبراهيم لعبده توضح لنا مشورات الآب من جهة ابنه، وما يعمله الله في العالم اليوم بواسطة الروح القدس لتنفيذ هذه المقاصد.

نتعلم أولاً أن الغرض الأسمى من إرسالية العبد، كان كما قال له إبراهيم "تأخذ زوجة لابني". وهكذا مضى العبد إلى أرام النهرين، ولم يكن أمامه سوى هذا الغرض الواحد، وإذ وجد هذه الزوجة وأحضرها إلى إسحق انتهت مهمته في أرام النهرين. إذن لم يكن جزءاً من مهمة العبد أن يتدخل في شئون أهل تلك البلاد سياسية كانت أم اجتماعية، ومن هذا نفهم أن وجود الروح القدس هنا ليس لإصلاح العالم أو تحسينه أو لإيجاد السلام بين الأمم أو لتجديد العالم. إنه ليس هنا لإنصاف الفقراء، أو لخلاص الإنسان من المرض والحاجة والبؤس، ليس هذا هو غرض الروح القدس من وجوده هنا.

إنه يوجد واحد هو الذي سيأتي في الوقت المعين بالسلام والبركة للعالم. لقد كان يوماً هنا على الأرض، وبرهن على أن له القوة وفيه النعمة لخلاص الإنسان من كل بؤس، ولكن مع الأسف نحن الذين رفعناه فوق الصليب، وهو تبارك اسمه مضى إلى المجد تاركاً البؤس في العالم، لكنه سيأتي ثانية بالبركة. وهو الآن في المجد، والروح القدس هنا ليأتي بعروس للمسيح، عروس سماوية ويقودها للمسيح في المجد.

لقد أخطأت المسيحية بصفة عامة في فهم فكر الله، فظنت أن المسيحية هي نظام ديني الغرض منه تحسين حالة الإنسان، ورفع مستواه، وإيجاد عالم أحسن وأجمل. إن كان هذا هو كل ما يراه الإنسان في المسيحية، فلا عجب إذن إن كنا نرى الكثيرين لا يعترفون بالمسيحية لأنه واضح لهم انه بعد مرور تسعة عشر قرناً يرون العالم إلى أردأ وليس إلى أحسن. لقد امتلأ العالم شراً وفساداً وامتلأت قلوب الناس رعباً مما هو آت على الأرض.

صحيح إن الله في عنايته الإلهية، يعتني بخلائقه المسكينة، ويستطيع بل يحجز فعلاً شرور الناس، وإنه حينما يقبل الحق يحصل قدر من التحسين في الأمور الزمنية، ولكن إذ تتكيف أفكارنا تماماً بكلمة الله، نرى أن غرض الروح القدس هنا هو لكي يأخذ أناساً من العالم للمسيح في المجد.

ثم يخبر إبراهيم العبد أن الزوجة التي يأتي بها لإسحق لا تكون "من بنات الكنعانيين" بل يقول له "من عشيرتي". لقد كان الكنعانيون تحت اللعنة والقضاء. إنه لا توجد علاقة بين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح في المجد، وبين العالم الذي هو تحت القضاء. عروس إسحق لا تكون غريبة بل من عائلة إبراهيم، وهكذا نرى أن الكنيسة – عروس المسيح – ليست هي جماعة من غير المؤمنين ولا هي خليط من مؤمنين وغير مؤمنين، بل جميعهم من أهل الإيمان.

أيضاً يحذر إبراهيم العبد من الرجوع بإسحق إلى أور الكلدانيين. ففي كل الوقت الذي كان فيه العبد في أور الكلدانيين كان إسحق في كنعان، ولم تكن هناك علاقة بين إسحق وأهل أور الكلدانيين، ومن هنا نعلم أنه لا علاقة مباشرة في الوقت الحاضر بين المسيح في المجد والعالم، وعدم إدراك هذه الحقيقة يجعل مساعي المسيحية، لا بل مساعي كثيرين من المسيحيين المخلصين محاولة لعمل ما منع العبد عن عمله – مرتين – لقد بذلت المحاولات بمختلف الوسائل للرجوع بالمسيح إلى العالم فربط اسمه الكريم بكثير من المشروعات الخيرية بغرض إصلاح وتحسين العالم، لكن كل هذه المساعي هي خارج نطاق عمل الروح القدس الذي يعمل الآن، لا لإعادة المسيح إلى العالم، لكن لا ننسى أن آخر مرة رأى فيها العالم المسيح هي المرة التي كان فيها فوق الصليب حيث صلبوه، والمرة الأخرى التي سيرى فيها العالم المسيح هي عندما يأتي "في نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح" (٢ تس ١: ٧ - ٩).

أخيراً يخبر إبراهيم العبد أن ملاك الله سيذهب أمامه، ونحن نعلم أن الملائكة هم "أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص". نعم إن خدمة الملائكة تنحصر في أعمال الحراسة والعناية. فبينما نرى الروح القدس هو الذي يتعامل مع النفس، نرى الملائكة تعمل في دائرة الظروف. فنرى مثلاً ملاكاً يوجه فيلبس إلى الطريق التي يسير فيها، بينما نرى الروح القدس هو الذي يتعامل مع النفس فيوجه فيلبس إلى نفس الخصي (أعمال ٨: ٢٦ و ٢٩).

مهمة العبد (١٠ - ٦١)

في هذا الفصل الغني بالتعاليم لا نرى فقط بكيفيةٍ رمزيةٍ الغرضَ من مجيء الروح القدس، بل نرى أيضاً الكيفية التي يجريها الروح القدس لتنفيذ هذا الغرض.

لقد جاء العبد إلى أور الكلدانيين مهيئاً تماماً للخدمة لأننا نقرأ "جميع خيرات مولاه في يده" صورة للروح القدس الذي جاء ليعلمنا "كل شيء" ويرشدنا إلى "جميع الحق" ويرينا "كل ما للآب" (يوحنا ١٤: ٢٦، ١٦: ١٣ - ١٥).

إن عمل العبد في أور الكلدانيين تضمن أربعة أشياء: أولاً – وجد العروس المعينة لإسحق (١٠ - ٢١). ثانياً – إذ وجد العروس ميزها عن غيرها (٢٢). ثالثاً – فطم قلبها عن أور

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكلدانيين وربط عواطفها بإسحق (٢٣ – ٥٣). رابعاً – قادها في الطريق إلى إسحق (٥٤ - ٦١).

وجد العروس

أولاً من صلاة العبد نفهم الغرض السامي لمهمته، فهو لم يقدم صلاة لأجل رجال المدينة أو فتياتها، بل كانت صلاته مركزة في نقطة واحدة وهي أن يجد العروس المعينة لإسحق، والروح القدس إنما أتى لا لخير العالم بل ليخرج منه المعينين من الله أي العروس المعينة للمسيح.

والعلامة الصحيحة التي حددها العبد لتتوافر في العروس، هي التحلي بروح النعمة فصلى العبد وقال "فليكن أن الفتاة التي أقول لها أميلي جرتك لأشرب فتقول: اشرب وأنا أسقي جمالك أيضاً هي التي عينتها لعبدك إسحق". واضح كل الوضوح من هذه الكلمات أن العبد لم يرسل ليختار عروساً من بنات الناس لإسحق بل ليجد العروس المعينة (عدد ١٤) وتكون النعمة هي العلامة المميزة لها.

وقد أجيبت الصلاة لأن رفقة إذ ظهرت في المشهد، ووضعت تحت الامتحان جاءت متفقة تماماً ورغبة العبد فقالت "وأنا أسقي جمالك" أيضاً، وهذا يتطابق مع عمل الروح القدس بالنعمة في الذين هم "مختارون بمقتضى علم الله السابق في تقديس الروح" (١ بط ١: ٢).

ميّز العروس بالحلي

وإذ وجد العروس المعينة لم يكتف بعمل النعمة الذي رآه، بل ميزها بكيفية ظاهرة عن غيرها فجملها بخزامة وسوارين من ذهب، بحيث يستطيع الآخرون أن يروا فيها هذا الجمال. والروح القدس لا يكتفي بما ينشئه من عمل النعمة في المؤمن بل يظهر فيه ثمر ختمه بالروح القدس من محبة وفرح وسلام وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان ووداعة وتعفف هذه الجواهر الغالية تصبح شهادة أمام الآخرين وتميز المؤمن عن كل الذين حواليه من أهل العالم.

القصة تخبر

وثالثاً نرى المجهود الذي قام به العبد في ربط عواطف رفقة بإسحق، وفي هذا صورة لعمل الروح القدس الذي يعمل في تقوية الإنسان الباطن في المؤمنين لكي يحل المسيح بالإيمان في قلوبهم. ولقد بدأ العبد هذا العمل بسؤال رفقة "هل في بيت أبيك مكان لنا لنبيت؟" فكان جواب رفقة على الفور "عندنا علف وتبن كثير ومكان" (عدد ٢٥) ولابان أيضاً بدوره قال للعبد "ادخل يا مبارك الرب" وهكذا نقرأ "فدخل الرجل إلى البيت" (عدد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣١ و ٣٢) والروح القدس جاء ليأخذ مما للمسيح ويخبرنا (يوحنا ١٦: ١٤). جميل إذاً أن نسأل أنفسنا "هل يوجد مكان؟" وهل نفسح للروح القدس مكاناً في قلوبنا؟ الجسد والروح "يقاوم أحدهما الآخر" (غل ٥: ١٧) ونحن لا نقدر أن نفسح المجال للروح طالما كنا نخدم الجسد لأنه من المستحيل أن نهيئ مكاناً للروح القدس ونحن مهتمون بأمور الجسد. فهل نحن نرفض انغماس الجسد في أمور هذه الحياة الزائلة؟ وهل نعطي للروح القدس مجالاً لكي يقودنا بعمق إلى أمور الله الأبدية؟ وهل هيأنا مكاناً وإمداداً للروح؟ لقد تهيأ البيت والإمداد في بيت بتوئيل لعبد إبراهيم فأعطيت له الفرصة للتحدث عن إسحق ليربط عواطف رفقة به، ويقودها إليه.

اجتذاب العروس

وإذ استقبل العبد بحرارة داخل البيت بدا يشهد ويعلن فكر سيده إبراهيم بخصوص إسحق، وهكذا كان يخبر رفقة، تحدث عن غنى إبراهيم وأبان أن الكل لإسحق "أعطاه كل ماله". وهكذا يخبرنا ربنا بنفسه قائلاً "كل ما للآب هو لي" وأن عمل الروح القدس هو أن يأخذ مما له ويخبرنا (يوحنا ١٦: ١٥).

التجارب

وإذ تكلم العبد عن إسحق، وأوضح قصد إبراهيم في بركة إسحق، انتظر حتى يرى تأثير رسالته. ألا يتعامل الروح القدس معنا بهذه الكيفية؟ ألا ينتظر الروح القدس حتى يرى ما إذا كانت قلوبنا في تجاوب من إعلاناته لنا عن المسيح، وذلك قبل أن يستخدمنا لنكون شهوداً بكيفية علنية لشخص المسيح؟ في الصورة التي أمامنا نرى التجاوب كان سريعاً إذ نقرأ "فأخرج العبد آنية فضة وآنية ذهب وثياباً وأعطاها لرفقة" ونحن إذ نتجاوب مع ما يعلنه الروح القدس لنا عن المسيح أفلا نصير شهوداً للبر الإلهي، كما نرى ذلك في آنية الذهب، شهوداً للتقديس العملي، وهذا ما نشاهده بكيفية رمزية في الثياب التي أعطاها العبد لرفقة.

القرار

أخيراً إذ ربط العبد عواطف رفقة بإسحق، لم يبق أمامه إلا أن يقودها لإسحق، فقال العبد "اصرفوني إلى سيدي". لقد جاء ليجد العروس وإذ تمم الأمر أراد أن ينصرف. إنه لم يأت ليجد العروس ويستقر في بيتها القديم ولكن لكي يقودها إلى بيت جديد.

لقد حاول الأقرباء أن يبقوها عشرة أيام على الأقل، لكن العبد أصر على المضي فوراً. وبحديثه عن إسحق نجح في إيجاد ذات الفكر في رفقة. ونحن المؤمنين إذا يسرنا للروح القدس أن يأخذ طريقه فينا. ولم نعقه بشيء، لابد أن يجعل أفكارنا كفكره، وينأى بقلوبنا عن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

الأشياء التي لا يوجد فيها المسيح، وهكذا يشغل عواطفنا بكل شيء فيه المسيح بل بالمسيح نفسه. نحن كثيراً ما نعيق عمل الروح فينا للانشغال بالعالم بسياساته ومسراته ودياناته، لكن العالم لا يستطيع أن يعيقنا متى كانت قلوبنا متعلقة بالمسيح في المجد وهي تركض للوصول إليه. الأخ والأم سعيا أن يعيقا رفقة بعض الوقت، لكن الكلمة الأخيرة أعطيت لرفقة "فقالوا ندعو الفتاة ونسألها شفاهاً" وقدموا لها هذا السؤال الهام "هل تذهبين مع هذا الرجل؟" هذا سؤال غاية في الأهمية. هل نحن مهيئون – مهما كلفنا الأمر – أن نتبع قيادة الروح القدس لنا؟

إن المسيحية الاسمية غالباً ما جهلت تماماً حضور الروح ونتيجة ذلك أنها رضيت البقاء في العالم الذي رفض المسيح وصار عنها غائباً. لكن إذ تلتصق قلوبنا بالمسيح في المجد نقول كما قالت رفقة "اذهب".

الإتباع في الطريق

والنتيجة المباشرة لهذا القرار نقرأ القول "فصرفوا رفقة أختهم ومرضعتها وعبد إبراهيم ورجاله" ونحن إذ نظهر عملياً أننا ننسى ما هو وراء وننظر إلى ما هو قدام، فلن تصبح المسألة أننا رفضنا العالم، بل العالم نفسه أيضاً سيرفضنا وعندئذ سيرفضنا وعندئذ يصرفنا.

وبعد ذلك نقرأ "فقامت رفقة وفتياتها ... وتبعن الرجل فأخذ العبد رفقة ومضى". كثيرون من المؤمنين الذين قبلوا طريق الله في الخلاص يرغبون أن يمضوا إلى السماء بطريقتهم هم، لكن ما أحوجنا أن نعرف طريق الله، وأن نتبع قيادته. وإتباع الروح القدس ليس معناه إتباع نور في داخلنا كما يقول البعض، بل ينبغي أن نتبع كلمة الله التي يستخدمها الروح القدس – الذي يجمع للمسيح دائماً.

وإذ تبعت رفقة العبد وجدت نفسها في برية، فلا هي في بيت لابان كما أنها لم تكن قد وصلت إلى حيث إسحق، ونحن إذ نتبع قيادة الروح القدس لنا نجد كما قال واحد "إنه ليس لنا الأرض التي نحن فيها ولا نكون قد حصلنا على السماء التي نحن ماضين إليها". وهكذا إذ سارت رفقة مسافة طويلة (٤٠٠ ميل) في الصحراء، كان يلمع أمامها طول الطريق ذلك الشخص الذي تعلق قلبها به والذي كان ينتظرها وهكذا يقول الرسول بولس بنفس الروح "أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" (فيلبي ٣: ١٣ و١٤).

نهاية المطاف

كان أمام العبد في أرام النهرين غرض هام للتحقيق وهو أن يأتي اليوم العظيم الذي يستحضر فيه العروس عبر رحلة البرية لإسحق، وفي كل الأدوار السالفة لم يعمل إسحق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شيئاً، كما أنه لم يترك أرض كنعان، لأن كل شيء كان بين يدي العبد. غير أننا لا نفهم من ذلك أن إسحق كان غير مبال بمهمة العبد أو بقدوم العروس، لأننا نقرأ أنه عند إقبال المساء خرج إسحق آتياً من ورود لحى رئى، أي بئر ذاك الذي يحيا ويرى "فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام ... إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (عب ٧: ٢٥).

المجيء

نلاحظ أن إسحق إنما خرج لغرض هو ملاقاة العروس، وهذا واضح من سؤال رفقة "من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا؟" وهذا يصور لنا أشواق إسحق لعروسه. إن أشواقنا نحو عريسنا قد تكون ضعيفة، لكن أشواقه هو نحونا لن تضعف، وهو يشتاق إلى تلك اللحظة التي فيها تحضر العروس إليه فقبل صعوده قال لتلاميذه: "وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يوحنا ١٤: ٣).

الزفاف

أخيراً لما رأت رفقة إسحق "أخذت البرقع وتغطت" وبعد ذلك مباشرة تم الزفاف لأننا نقرأ "وأخذ رفقة فصارت له زوجة وأحبها". ونحن بعد أن تنتهي مرحلة البرية يكون الروح القدس قد أتم مهمته وعندئذ نرى الرب يسوع عريسنا المبارك وجهاً لوجه ويأخذنا لنفسه ويتم القول "عرس الخروف قد جاء وامرأته هيأت نفسها" (رؤ ١٩: ٧).

لما أكمل الله عمل الخليقة أحضرت حواء إلى آدم كامرأة له، وهذا هو أول رمز للسر العظيم الذي كان منذ الدهور مكتوماً في الله، والذي يتضمن قصد الله الأزلي للإتيان بعروس لابنه، وتمر القرون الطويلة وتتعدد العصور والتدابير، والله يحتفظ بذلك اليوم، يوم عرس الخروف. قد يفشل أناس الله كما حدث في العصور السالفة وقد يتغلب العالم ويطغى، وقد يظفر العدو ويقاوم مستخدماً من أراد، لكن هذا كله وأكثر منه لا يستطيع بأي حال أن يحول دون إتمام القصد العظيم، قصد الله في الإتيان بالعروس لابنه ففي آخر سفر من أسفار الكتاب نرى مشهد عروس الخروف، وفي نهاية هذا السفر عينه نرى المسيح في انتظار عروسه، كما نرى العروس منقادة بالروح القدس تبدي أشواقها لقدوم عريسها "الروح والعروس يقولان تعال" ويجيب العريس "أنا آتي سريعاً" فترد العروس "آمين تعال أيها الرب يسوع".

خبر مشجع لنا

كم نجد من التشجيع في خدمتنا إذا ما احتفظنا بهذا الغرض السامي الذي أمام الروح القدس في كل حين، وهو إحضار الكنيسة للمسيح بلا دنس ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب في يوم عرس الخروف. قد تنحصر خدماتنا في اجتماعاتنا المحلية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الصغيرة، وقد يبدو الضعف فينا، وقد نفشل، لكن إذا وضعنا أمامنا مشهد عرس الخروف الرائع لا نفشل بل نتعب بغير كلل عالمين أنه لابد أن يتم هذا الذي نقرأه، وسمعت كصوت جمع كثير وكصوت مياه كثيرة وكصوت رعود شديدة قائلة "هللويا ... لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عرس الخروف قد جاء" إذن لا نفشل.

هذا وينتهي التعليم الرمزي لهذه الإصحاحات بذكر أولاد إبراهيم من قطورة كما نقرأ ذلك في الستة الأعداد الأولى من الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين، وهؤلاء الأولاد الذين تسلسل منهم كثير من أمم الشرق، هؤلاء أعطاهم إبراهيم "عطايا" وهكذا دخلوا دائرة البركة على أساس ارتباطهم بإبراهيم أما إسحق فوضع في مركز ممتاز عن بقية هؤلاء الأولاد، فلهم أعطى إبراهيم عطايا بينما أعطى لإسحق كل ما كان له. وفي هذا نرى رمزاً لحق عظيم هو أن المسيح المقام من الأموات والوارث لكل شيء بعد أن تصل عروسه السماوية يدخل إلى الميراث الأرضي، كما أن جميع أمم العالم ستنال بركة في ذلك الوقت.

وهكذا يختم تاريخ إبراهيم – هذا التاريخ الحافل بهذا الخبر الموجز عن موته بشيبة صالحة شيخاً وشبعان أيام، ثم دفن بواسطة إسحق وإسماعيل في مغارة المكفيلة، وهكذا ينهي إبراهيم غربته بوقار يتناسب مع رجل و"خليل الله" و"أبو المؤمنين".

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com